من

مظاهر الذَّكاء اللغويّ في تراثنا العربي

دراسة في ضوء مستويات علم اللغة الحديث

إعداد

د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

من مظاهر الذَّكاء اللغويّ في تراثنا العربي دراسة في ضوء مستويات علم اللغة الحديث

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالمنوفية جامعة الأزهر – مصر

الإيميل الجامعي:mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

يحاول هذا البحث التأصيل لجمع المواقف والمحاورات التي بنيت على الذكاء اللغوي وبيان أثره في دحض حجة المخالف أو حل الإشكال العلمي أو تفاوت العقول في الفهم ، وقد انتقى البحث مجموعة من هذه المواقف التراثية وصنفها وفق مستويات اللغة ، مضيفا إلى المستويات المشهورة المستوى التداولي والمستوى الخطي معلقا عليها أحيانا ومكتفيا في أحايين أخرى بذكر الموقف لما يوحيه من معاني يحسها كل قارئ، وحتى لا يطول البحث، وقد صدر البحث مبحثا عن الذكاء وأهميته وسبل تحققه، ومظان هذه المواقف، وانتهى البحث إلى نتائج عديدة كان من أهمها أن أمة العرب أمة عرفت بالذكاء والفطنة وهذا ما يظهر في بنية كلامها ويشهد به تراثها

الكلمات المفتاحية: الذكاء اللغوي–الذكاء في التراث العربي.

A manifestation of linguistic intelligence in our Arab heritage is a study in light of the levels of modern linguistics

Mostafa Ahmad Muhammad Ismael

Assistant Professor, Department of Philology

College email :mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

This research tries to root to collect positions and discussions that are based on linguistic intelligence and to show its effect in refuting the argument of the violator or solving the scientific problem or the disparity of minds in understanding, the research has selected a set of these heritage positions and classified them according to the levels of language, adding to the levels of famous level deliberative and linear level commented on it sometimes and content in other situations to mention the situation because of the meanings of each reader, and so as not to prolong the research, the research has been issued research on intelligence and its importance and ways to achieve it, and to be able to achieve it. Positions, and the research concluded to many results, the most important of which was that the Arab nation is a nation known for intelligence and intelligence and this is what appears in the structure of its words and attests to its heritage

Key words : Linguistic Intelligence - Intelligence in The Arab Heritage

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القدرات اللغوية تحظى بأهمية بالغة في مختلف المجتمعات باعتبارها ذات قيمة معرفية واجتماعية، كما تعد أيضا أدوات لتطوير معظم القدرات العقلية والكفايات التعليمية الأخرى، وفي منتصف العقد الثامن من القرن العشرين قدَّم هوارد جاردنر[1] الأستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة نظرية الذكاء المتعدد في كتاب بعنوان« أطر العقل»، واستمر في تطويرها لما يزيد على ٢٠ عاما، وقد حدد غاردنر سبعة أنواع للذكاء في الصورة الأولى من النظرية عام ١٩٨٣م ثم أضاف إليها نوعا جديدا هو «الذكاء الطبيعي» في مراجعته للنظرية العام ١٩٩٩م، وعلى هذا تصبح أنواع الذكاء المتعدد تسعة، وهي على النحو التالي(الذكاء اللغوي، الذكاء المنطقي ــ الذكاء الرياضي، الذكاء المكاني، الذكاء الموسيقي، الذكاء الجسمي ــ الحركي، ذكاء العلاقات مع الآخرين، ذكاء فهم الذات، الذكاء الطبيعي)، وتقوم نظرية الذكاءات المتعددة على عدد من

---

[1] هوارد جاردنر، ولد عام ١٩٤٣ هـ، ويعمل أستاذا لعلم النفس في جامعة هارفرد، له أكثر من عشرين كتابا، وحائز على ستة وعشرين درجة دكتوراه فخرية من عدة جامعات.(الذكاءات المتعددة وتطبيقاتها في السنة النبوية، دراسة تأصيلية نقدية: د. حمزة عبد الكريم محمد حماد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد٩٤، السنة ٢٨، شوال ١٤٣٤ هـ/ سبتمبر ٢٠١٣م، ص١٨٥) .

المبادئ، تتمثل في كون الذكاء غير مفرد، فالذكاء متعدد ومتنوع وخاضع للنمو والتنمية والتغيير، وكل شخص لديه خليط فريد لمجموعة ذكاءات نشيطة ومتنوعة، إضافة إلى كون الذكاءات تختلف في النمو داخل الفرد الواحد، أو بين الأفراد بعضهم بعضا، وترى النظرية كذلك إمكان التعرف على الذكاءات المتعددة وقياسها وتحديدها [١].

فالذكاء اللغوي أحد مكونات نظرية جاردنر، ويرى أنه من الممكن التعرف على هذا الذكاء لدى فرد ما، من خلال مؤشرات واضحة، منها القدرة على الحفظ بسرعة، وحب التحدث، وإظهار رصيد لغوي متنام، والشغف بقراءة الملصقات، وقص الحكايات[٢]، إلى غير ذلك من دلائل الذكاء اللغوي، ويأتي هذا البحث كتأصيل لنظرية الذكاء اللغوي في تراثنا العربي من خلال ذكر بعض الصور الحوارية والنقاشية التي تظهر القدرات العقلية لأعلام اللغة القدامى، والتي نأمل أن يتأثر بها طلابنا بعد مطالعتها،وكانت هذه الصور انتقائية لصعوبة أن يقوم باحث بحصر وجمع تلك الصور في بحث أو رسالة، فهذا عمل يحتاج إلى مؤسسة علمية،

---

[١] أطر العقل، نظرية الذكاءات المتعددة: هوارد جاردنر، ترجمة: د. محمد بلال الجيوسي ص٥٨، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠٤م ، والذكاءات المتعددة والفهم، تنمية وتعميق: جابر عبد الحميد جابر ص٩، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٣م، والذكاءات المتعددة وتطبيقاتها في السنة النبوية، دراسة تأصيلية نقدية: د. حمزة عبد الكريم محمد حماد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد٩٤، السنة ٢٨، شوال ١٤٣٤ هـ/ سبتمبر ٢٠١٣م، ص١٨٧.

[٢] أطر العقل، نظرية الذكاءات المتعددة: ص١٦٧.

وغرضنا من ذكر هذه الصور الاطلاع على خبرات السابقين مما ينمي المواهب والقدرات وإبراز هذا الذكاء في ضوء المستويات اللغوية.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي من خلال أدوات الانتقاء والتحليل والاستنباط.

وقد وجاء هذا البحث في مقدمة يتلوها مبحثان، كان الأول منهما بعنوان: الذكاء اللغوي: دلالته، وأهميته، وسبل تحقيقه، وجاء الثاني بعنوان صور من الذكاء اللغوي في ضوء المستويات اللغوية، ثم كانت الخاتمة وثبت لأهم المراجع والمصادر وآخر للموضوعات.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا العمل، وأن يتجاوز عن الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر الشريف، (فرع المنوفية)

جريس. أشمون. منوفية

المبحث الأول

الذكاء اللغوي: دلالته، وأهميته، وسبل تحقيقه

أولا: الذكاء بين الدلالة المعجمية والدلالة الاصطلاحية:

ــ الذَّالُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ يَدُلُّ عَلَى حِدَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَنَفَاذٍ... [1]، والذَّكيُّ من قولك: قلب ذكيٌّ، وصبي ذكيٌّ، إذا كان سريع الفطنة.. ذَكِي يَذْكَى ذَكاء، وذكا يذكو ذكاءً[2]، وأصل الذكاء في اللغة كلها تمام الشيءِ، فمن ذلك الذَّكاءُ في السن والفهم، وهو تمام السن، قال الخليل(ت١٧٥ هــ): الذَكاءُ في السِّنِ أن يأتي على قروحِه سنة، وذلك تمائم استِكمال القُوةِ، قال زهير(ت: ١٣ ق هــ):

يُفَضّــلُه، إذا اجْتَهَــدُوا عليْــهِ تمامُ السِّــنِّ مِنْــهُ والــذَّكَاءُ[3]

... وتأويل تمام السِّن النهايةُ في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال لها الذكاء، والذكاء في الفهم أن يكون فَهِماً تامًّا سريعَ القَبول [4].

قال أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨ هــ):" وقولهم: فلانٌ ذَكِيٌّ... معناه: كاملُ الفِطْنَةِ، تامُّها، من قول العرب: قد ذَكَتِ النارُ تذكو: إذا تَمَّ وقودها، ويقال: أَذْكَيْتُها: إذا أتممت وقودَها، ويقال: مِسْكٌ ذكيٌّ: إذا كان تامَّ الطيبِ،

---

[1] مقاييس اللغة(ذ ك و) ٣٥٧/٢.

[2] العين للخليل بن أحمد ٣٩٩/٥ وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥٢/٦.

[3] البيت من الوافر لزهير في ديوانه ص ٦٩.

[4] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٥/٢ و تهذيب اللغــة(ذ ك و) ١٨٤/١٠ وتــاج العروس(ذ ك و)

كاملَ نفاذِ الريحِ.... ويقال: قد ذَكَّيْتُ الشاة: إذا أتممت ذبحها، وبلغت الحدَّ الواجبَ فيه"[١].

وهكذا يدور التعريف اللغوي لهذا المادة في معظم كتب اللغة ومعاجمها على معنى تمام الفهم وحدته، وسرعة الفطنة.

أما فِي الِاصْطِلَاح: فقد يسْتَعْمل فِي الفطانة، يُقَال: رجل ذكي، وفلَان من الأذكياء، يُرِيدُونَ بِهِ الْمُبَالغَة فِي فطانته، كَقَوْلِهِم: فلَان شعلة نَار [٢]، وقد اختلف الباحثون في وضع تعريف شامل للذكاء، ويبدو أنه لا يوجد إجماع كلي حول مفهومه، كوننا نتعرف عليه بآثاره ونتائجه، فهو مفهوم نسبي يرتبط بالمكون الذاتي والاجتماعي والسلوكي، ولا يقتصر على مظهر واحد يتجلى من خلاله، كما لا يمكن الحكم على الفرد بالذكاء في كل المجالات والمواقف الحياتية، فقد يكون ذكيا في موقف وقد تعوزه هذه القدرة في موقف آخر، ويرجع هذا لاتساع النشاط العقلي الذي تمثله قدرة الذكاء وتنوعه وتداخل مكوناته[٣]، وقد عرفه معجم اللغة العربية المعاصرة

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر الأنباري ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن٢ /٣٦٥، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الكليات ص٤٥٦.

(٣) ينظر بالتفصيل: القدرات العقلية ــ خصائصها وقياسها ــ: إبراهيم وجيه محمود ص١٠٣ ــ ١١١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م .

بأنه: القدرة على التحليل، والتركيب، والتمييز، والاختيار، والتكيُّف إزاء المواقف المختلفة[١].

وأما الذكاء اللغوي فيتضمن « التمكن من مهارات فهم اللغة من خلال القراءة أو الاستماع ومهارات إنتاج اللغة من خلال الكتابة والكلام»[٢]، أو هو: القدرة على استخدام الرموز والأساليب اللغوية اعتمادا على مخزون الكلمات، والدلالات للتعبير عن الأفكار والمواقف والاتجاهات[٣].

ثانيا: الفروق الدلالية بين الذكاء وما يقاربه من ألفاظ:

ذكر علماؤنا أن " أولَ مَرَاتِب وُصُول الْعلم إِلَى النَّفسِ الشُّعُورُ، ثمَّ الْإِدْرَاك، ثمَّ الْحِفْظ: وَهُوَ استحكام الْمَعْقُول فِي الْعقل، ثمَّ التَّذَكُّر، وَهُوَ محاولة النَّفس استرجاع مَا زَالَ من المعلومات، ثمَّ الذّكر: وَهُوَ رُجُوع الصُّورَة الْمَطْلُوبَة إِلَى الذِّهْن، ثمَّ الْفَهم: وَهُوَ التَّعَلُّق غَالِبا بِلَفْظ من مخاطبك، ثمَّ الْفِقْه: وَهُوَ الْعلم بغرض الْمُخَاطب من خطابه، ثمَّ الدِّرَايَة: وَهُوَ الْمعرفَة الْحَاصِلَة بعد تردد مُقَدمَات، ثمَّ الْيَقِين: وَهُوَ أَن تعلم الشَّيْء وَلَا تتخيل خِلَافه، ثمَّ الذِّهْن: وَهُوَ قُوَّة الاستعداد لكسب الْعُلُوم غير الْحَاصِلَة، ثمَّ الْفِكر: وَهُوَ الِانْتِقَال من المطالب إِلَى المبادئ والرجوع من

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة ٨١٨/١ وينظر: مصطلحات تعليمية من التراث الإسلامي: د. خالد الصمدي(ص٢٠٦) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ إيسيسكو ــ ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.

[٢] الذكاء الإنساني: د. محمد طه ص٢٣٣.

[٣] الذكاء اللغوي وحل المشكلات لدى عينة من الأطفال المغاربة بالتعليم الابتدائي: د. محمد أمزيان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد٩، العدد٢، يونيو ٢٠٠٨م، ص١٢٥.

المبادئ إِلَى المطالب، ثمَّ الحدس: وَهُوَ الَّذِي يتَمَيَّز بِهِ عمل الْفِكر، ثمَّ الذكاء: وَهُوَ قُوَّة الحَدس، ثمَّ الفطنة: وَهِي التنبه للشَّيْء الَّذِي يقْصد مَعْرفَته، ثمَّ الْكَيس: وَهُوَ استنباط الأنفع، ثمَّ الرَّأْي: وَهُوَ استحضار الْمُقدمَات وإجالة الخاطر فِيهَا، ثمَّ التبين: وَهُوَ علم يحصل بعد الالتباس، ثمَّ الاستبصار: وَهُوَ الْعلم بعد التَّأَمُّل، ثمَّ الْإِحَاطَة: وَهِي الْعلم بالشَّيْء من جَمِيع وجوهه، ثمَّ الظَّن: وَهُوَ أَخذ طرفِي الشَّك بِصفة الرجحان، ثمَّ الْعقل: وَهُوَ جَوْهَر تدْرك بِهِ الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بِالْمُشَاهَدَةِ..."[1].

وفرق أبو هلال العسكري(ت نحو٣٩٥ هـ) دلاليا بين بعض المصطلحات المتقاربة ، فذكر في الفرق بين « الذكاء والفطنة: أن الذكاء تمام الفطنة، من قولك: ذكت النار إذا تم اشتعالها، وسميت الشمس ذكاء لتمام نورها، والتذكية تمام الذبح، ففي الذكاء معنى زائد على الفطنة ... والْفرق بَين الْعلم والفطنة: أَن الفطنة هِيَ التنبه على الْمَعْنى، وضدها الْغَفْلَة ، وَرجل مُغفل لَا فطنة لَهُ ...وَيجوز أَن يُقَال إِن الفطنة ابْتِدَاء الْمعرفَة من وَجه غامض، فَكل فطنة علم وَلَيْسَ كل علم فطنه...والْفرق بَين الفطنة والحذق والكيس: أَن الْكيس هُوَ سرعَة الْحَرَكَة فِي الْأُمُور، وَالْأَخْذ فِي مَا يَعْنِي مِنْهَا دون مَا لَا يَعْنِي، يُقَال غُلَام كيس إِذا كَانَ يسْرع الْأَخْذ فِي مَا يُؤمر بِهِ وَيتْرك الفضول، وَلَيْسَ هُوَ من قبيل الْعُلُوم، والحذق أَصله حِدة الْقطع، يُقَال حذقه إِذا قطعه، وَقَوْلهمْ حذق الصَّبِي الْقُرْآن مَعْنَاهُ: أَنه بلغ

[1] الكليات (ص٦٦).

آخِره، وَقطع تعلمه، وتناهى فِي حفظه، وكل حاذق بصناعة فَهُوَ الَّذِي تناهى فِيهَا وَقطع تعلمهَا ... » [1].

كما فرق الرازي(ت٦٠٦ هـ) بين أَلْفَاظٍ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُرَادِفَةٌ لِلْظن، منها: « **الذَّكَاءُ** وَهُوَ شِدَّةُ الْحَدْسِ وَكَمَالُهُ وَبُلُوغُهُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى، وَذَلِكَ لِأَنَّ الذَّكَاءَ هُوَ الْمُضَاءُ فِي الْأَمْرِ وَسُرْعَةُ الْقَطْعِ بِالْحَقِّ، وَأَصْلُهُ مِنْ ذَكَتِ النَّارُ، وَذَكَتِ الرِّيحُ،... **والْفِطْنَةُ** وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّنَبُّهِ لِشَيْءٍ قُصِدَ تَعْرِيضُهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَكْثَرِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحَاجِي ... **والْكِيَاسَةُ**، وَهِيَ تَمَكُّنُ النَّفْسِ مِن اسْتِنْبَاطِ مَا هُوَ أَنْفَعُ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»[2] مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا خَيْرَ يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَفْضَلُ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، **والْفِرَاسَةُ** وَهِيَ الِاسْتِدْلَالُ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ عَلَى الْخُلُقِ الْبَاطِنِ، وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صِدْقِ هَذَا الطَّرِيقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[3] [الْحِجْرِ: ٧٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾

---

[1] الفروق اللغوية للعسكري (ص٨٥).

[2] أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد ٤٢٦٠/١٤٢٣/٢ وقال الألباني: ضعيف، وأخرج قبله في الكتاب والباب نفسيهما عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» ، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ» وقال الألباني: حسن.

[3] يُقَالُ تَوَسَّمْتُ فِي فُلَانٍ خَيْرًا أَيْ رَأَيْتُ فِيهِ أَثَرًا مِنْهُ وَتَفَرَّسْتُهُ فِيهِ، وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الْمُتَوَسِّمِينَ قِيلَ: الْمُتَفَرِّسِينَ، وَقِيلَ: النَّاظِرِينَ، وَقِيلَ: الْمُتَفَكِّرِينَ، وَقِيلَ: الْمُعْتَبِرِينَ، وَقِيلَ: الْمُتَبَصِّرِينَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: حَقِيقَةُ الْمُتَوَسِّمِينَ فِي اللُّغَةِ الْمُتَثَبِّتُونَ فِي نَظَرِهِمْ حَتَّى يَعْرِفُوا سِمَةَ الشَّيْءِ وَصِفَتَهُ وَعَلَامَتَهُ، وَالْمُتَوَسِّمُ النَّاظِرُ فِي ==

[الْبَقَرَةِ: ٢٧٣] وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٣٠] وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَسَ السَّبُعُ الشَّاةَ، فَكَأَنَّ الْفِرَاسَةَ اخْتِلَاسُ الْمَعَارِفِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: ضَرْبٌ يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ عَنْ خَاطِرِهِ وَلَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ، وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْإِلْهَامِ ... وَيُسَمَّى ذَلِكَ أَيْضًا النَّفْثَ فِي الرَّوْعِ، وَالضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ الْفِرَاسَةِ مَا يَكُونُ بِصِنَاعَةٍ مُتَعَلَّمَةٍ وَهِيَ الِاسْتِدْلَالُ بِالْأَشْكَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْبَاطِنَةِ ... » [(١)].

وقال أبو سعيد الخادمي(ت: ١١٥٦ هـ):" اعْلَمْ أَنَّ السَّفَهَ هُوَ النُّقْصَانُ فِي الْعَقْلِ كَيْفًا وَضِدُّهُ الرُّشْدُ، وَالْبَلَادَةُ نُقْصَانٌ فِيهِ كَمًّا وَضِدُّهُ الذَّكَاءُ، وَالْغَبَاوَةُ الْبُطْءُ وَعَدَمُ السُّرْعَةِ فِي الِانْتِقَالِ مِنْ الْمَبَادِئِ إلَى الْمَطْلُوبِ بِدُونِ النُّقْصَانِ فِي الْكَمِّ وَالْكَيْفِ، وَضِدُّهَا الْفَطِنَةُ " [(٢)].

ثالثا: أهمية الذكاء اللّغوي:

لا شك أن الذكاء مطلوب في كل المجالات العلمية والحياتية، و« لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ فِي خِلْقَةِ الْعُقُولِ اخْتِلَافَ الْمُيُولِ وَالْأَفْهَامِ، وَجَعَلَ فِي تَفَاوُتِ الذَّكَاءِ وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ أَسْبَابًا لِاخْتِلَافِ قَوَاعِدِ الْعُلُومِ وَالْمَذَاهِبِ» [(٣)].

أ ــ فلا يجب أن يفتقده المفتي أو الحاكم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ، فَذَهَبَ بِابْنِ

==

السِّمَةِ الدَّالَّةِ تَقُولُ: تَوَسَّمْتُ فِي فُلَانٍ كَذَا أَيْ عَرَفْتُ وَسْمَ ذَلِكَ وَسَمْتَهُ فِيهِ.(مفاتيح الغيب ١٥٦/١٩)

[(١)] مفاتيح الغيب ٢/ ٤٢٠ ــ٤٢٤ (بتصرف) .

[(٢)] بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٥٨/٣)

[(٣)] التحرير والتنوير ١١/٣.

إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليه السلام، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاللهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، مَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ» [1]، قال القرطبي(ت٦٧١ هـ): « فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ... اسْتِعْمَالُ الْحُكَّامِ الْحِيَلَ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِهَا الْحُقُوقُ، وَذَلِكَ يَكُونُ عَنْ قُوَّةِ الذَّكَاءِ وَالْفَطْنَةِ، وَمُمَارَسَةِ أَحْوَالِ الْخَلْقِ...» [2].

ب ــ وَالِاعْتِمَادُ فِي مَرَاجِعِ الضَّمَائِرِ عَلَى قَرَائِنِ الْكَلَامِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِيجَازِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى فِطْنَةِ السَّامِعِ فَإِنَّهُمْ أُمَّةٌ فَطِنَةٌ [3]، ومَبْنَى كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى أَسَاسِ الْفِطْنَةِ. وَمَسْلَكُهُ هُوَ مَسْلَكُ اللَّمْحَةِ الدَّالَّةِ[4].

ج ــ من سمات المعلم الذكاء الذي يساعده على التعرف على خصائص المتعلمين ، يقول الماوردي(ت٤٥٠ هـ) :" وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَالِمِ فِرَاسَةٌ يَتَوَسَّمُ بِهَا الْمُتَعَلِّمَ لِيَعْرِفَ مَبْلَغَ طَاقَتِهِ، وَقَدْرَ اسْتِحْقَاقِهِ لِيُعْطِيَهُ مَا يَتَحَمَّلُهُ بِذَكَائِهِ، أَوْ يَضْعُفُ عَنْهُ بِبَلَادَتِهِ فَإِنَّهُ أَرْوَحُ لِلْعَالِمِ، وَأَنْجَحُ لِلْمُتَعَلِّمِ "[5].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب في بيان اختلاف المجتهدين ٣/١٣٤٤/١٧٢٠.

[2] الجامع لأحكام القرآن ١١/٣١٤.

[3] التحرير والتنوير(١١/٦٠)

[4] السابق(٤/٢٢٥)

[5] أدب الدنيا والدين (ص٨١).

ويقول أبو حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ):" يجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء والغباوة، ويعلمه مع مقدار وسعه ، ولا يكلف الزيادة عن مقداره فإنه إذا كلف يئس عن تحصيل العلم ويتبع الهوى ويشكل تعليمه"[١].

د ــ القراءة الواعية للتراث اللغوي تحتاج إلى ذكاء وفطنة، وهذا ما يؤكد عليه فيلسوف العربية أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ هـ) في أكثر من موضع من كتابه الماتع " الخصائص"، فيقول ــ على سبيل المثال ــ " باب في جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه: هذا غور من اللغة بطين، يحتاج مجتابه إلى فقاهة في النفس، ونصاعة من الفكر، ومساءلة خاصية، ليست بمبتذلة ولا ذات هجنة" [٢]، " وإنما مكنت القول في هذا الموضع ليقوى في نفسك قوة حس هؤلاء القوم، وأنهم قد يلاحظون بالمنة والطباع، ما لا نلاحظه نحن عن طول المباحثة والسماع، فتأمله فإن الحاجة إلى مثله ظاهرة" [٣]، وهذا كله لـ "ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس، ودربة الفكر" [٤] .

هـ ــ يعد الذكاء شرطا ضروريا يساعد المتكلم في معالجة المدخلات التي يستقبلها من المحيط الخارجي، وهو الذي يشحذ الملكة الإبداعية، ويمنح اللغوي القدرة التي تجعله ينتقي تقنياته الإبداعية في سياق يتناسب

---

[١] مصطلحات تعليمية من التراث الإسلامي: د. خالد الصمدي(ص٢٠٦) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ إيسيسكو ــ ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.

[٢] الخصائص(٣١٩/٣)

[٣] السابق (٢٧٩/٣)

[٤] نفسه (٢٥٧/٣)

مع الخلفية المعرفية للمتلقي، ويتماشى مع التمثلات الاجتماعية التي أنتج خطابه فيها[١].

و ــ إنّ تحفيز عنصر الذكاء يجعل الفرد يقدِّم سلوكيات إيجابية تعكس مستوى قدراته غير المحدودة في شتى المجالات، ويعتمد هذا على ما تمدنا به الدراسات الحديثة في مجال علم النفس المعرفي والعلوم العصبية حين تؤكد أنه« لدى الدماغ قدرات لا متناهية تشمل جميع المواضع العلمية والأدبية»[٢]، وسلوكيات الأفراد هي التي تحدد التفاوت الحاصل في نسبة الذكاء بينهم، فالجميع يمتلك قدرات تؤهله لأن يكون مبدعا، ولكنّ الذي يحفز تلك القدرات ــ نقصد هنا الذكاء ــ هو الذي يستطيع أن يستغل طاقاته الكامنة، وينشّط عملياته العقلية، ويزيد من قدراته الإبداعية، ولهذا جعل النقاد القدامى الشعر يعتمد على توافر مجموعة من الآليات والشروط في أغلبها تعتمد على عمليات معرفية ترتبط بقدرات العقل ومدى توافر الكفاءة الذهنية في مظهرها الذكائي عند المبدع في أثناء نظم الكلام؛ إذ « يجب على من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يعتبر أولاً نفسه، ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات، فإذا وجد لها فطرة سليمة، وجبلة موزونة، وذكاء وقاداً، وخاطراً سمحاً، وفكراً ثاقباً، وفهماً سريعاً، وبصيرة مبصّرة، وألمعية مهذبة، وقوة حافظة، وقدرة حاكية، وهمة عالية، ولهجة فصيحة، وفطنة صحيحة، وإن كانت

---

[١] ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى: صليحة شتيح، مجلة فصول، العدد١٠٠ صيف ٢٠١٧م، ص٣٨٨.

[٢] العقل واستخدام طاقته القصوى: توني بوزان، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٦م، ص١٤٩.

بعض هذه الأوصاف غير لازمة لرب الإنشاء، ولا يضطر إليها أكثر الشعراء، لكنها إذا كملت في الشاعر والكاتب كان موصوفاً في هذه الصناعة بكمال الأوصاف النفسية التي إذا أضيفت إليها الصفات الدَّرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغة العربية، وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحو والتصريف، والعروض والقوافي ...»[١].

زـ وقد تنبه الطبيب الفرنسي جان اتيين إسكوريل(١٧٧٢ـ ١٨٤٠هـ) إلى أهمية الجوانب اللغوية في الذكاء فاعتبر أن القصور اللغوي ـ وليس المشاكل الحسية أو الجسدية ـ أهم مؤشرات الضعف العقلي[٢].

ح ـ الفرد الذي يتمتع بالذكاء اللغوي له أهمية قصوى في المجتمع الإنساني؛ لأنه يمتلك جانب بلاغي للغة، أي القدرة على استخدام اللغة؛ لإقناع الآخرين بسلوك معين، وأداة للتذكر تعين المرء على تذكر معلومات، والجانب الأهم، هو الدور التفسيري للغة، فكثير من التعلم والتعليم يتم من خلال اللغة، التي تزودنا بالمجازات والاستعارات التي لا غنى عنها لإطلاق تطوير علمي جديد[٣].

---

[١] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص٤٠٦ وينظر: ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى: صليحة شتيح ص٣٨٨.

[٢] الذكاء الإنساني: د. محمد طه ص١٨.

[٣] أطر العقل (ص١٦٧)

ط ــ يفيد الذكاء اللغوي، في القدرة على معالجة البناء اللغوي كالصوتيات والمعاني، وكذلك الاستخدام العلمي للغة، وهذا الاستخدام قد يكون بهدف البلاغة أو البيان[١].

ي ــ الذكاء اللغوي يكسب الطلبة قدرة لغوية تساعدهم على الطلاقة في التعبير بطرق مختلفة، وتحديد المصطلحات، أي التمكن من اللغة[٢].

ك ــالذكاء اللغوي معين على الاحتراس من الخطأ، قال الحسن العسكري (ت: ٣٨٢ هــ)شرحت في كتابي هذا الألفاظ والأسماء المشكلة، التي تتشابه في صورة الخطّ، فيقع فيها التصحيف، ويدخلها التحريف، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر، وفي أسماء الشعراء وأيّام العرب، وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها، وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الأشكال ، فيصحّفها عامّة الناس، ويغلط فيها بعض الخاصة، ولا يكمل لها إلا من افتنّ في العلوم، ولقى العلماء والرواة، والمتقدمين في صناعتهم، المتقنين لما حفظوه وأخذ من أفواه الرجال، ولم يعوّل على الكتب الصّحفية، واستقبح لذّة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقير، فوضحت له الدّراية والرواية، بكفاء الطلب والعناية واحترس من الخطأ احتراسه من أقبح العيوب، وأعين ببعض الذكاء والفطنة[٣].

---

[١] تربويات المخ البشري : محمد عبد الهادي حسين (ص٣٧) ، دار الفكر للطباعــة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م.

[٢] أطر العقل (ص١٦٥).

[٣] شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص١٥).

رابعا: الذكاء اللغوي لدى العرب:

إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى ذَكَاءِ الْقَرَائِحِ وَفِطْنَةِ الْأَفْهَامِ، فَعَلَى دِعَامَةِ فِطْنَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ أُقِيمَتْ أَسَالِيبُ كَلَامِهِمْ، وَبِخَاصَّةٍ كَلَامُ بُلَغَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِيجَازُ عَمُودَ بَلَاغَتِهِمْ لِاعْتِمَادِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ كَمَا يُقَالُ: لَمْحَةٌ دَالَّةٌ، لِأَجْلِ ذَلِكَ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ الْمَجَازُ، وَالِاسْتِعَارَةُ، وَالتَّمْثِيلُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالتَّعْرِيضُ، وَالِاشْتِرَاكُ وَالتَّسَامُحُ فِي الِاسْتِعْمَالِ كَالْمُبَالَغَةِ، وَالِاسْتِطْرَادُ، وَالْأَمْثَالُ، وَالتَّلْمِيحُ، وَالتَّمْلِيحُ، وَاسْتِعْمَالُ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ فِي غَيْرِ إِفَادَةِ النِّسْبَةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَاسْتِعْمَالُ الِاسْتِفْهَامِ فِي التَّقْرِيرِ أَوِ الْإِنْكَارِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّه تَوْفِيرُ الْمَعَانِي، وَأَدَاءُ مَا فِي نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ بِأَوْضَحِ عِبَارَةٍ وَأَخْصَرِهَا لِيَسْهُلَ اعْتِلَاقُهَا بِالْأَذْهَانِ [1]، حتى أصبحت« فطنة الْأَعْرَاب يضْرب بهَا الْمثل، وَذَلِكَ لصفاء أذهانهم وجودة قرائحهم» [2]، ومن البراهين على أصالة الذكاء اللغوي عند العرب ما يأتي:

أ ــ إشارات القرآن الكريم للذكاء اللغوي: فمن يطالع كلام المفسرين في قــــول الله تعـــالى:﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٤٢] يجد أنهم يجمعون على ذكاء هذه المرأة؛ حيث استعملت حرف التشبيه(كأنّ)، ولم تقل: هو هو، قال الزمخشـــري(ت٥٣٨ هـــــ): «قالَتْ ﴿كَأَنَّهُ هُوَ ۚ﴾ولم تقل: هو هو، ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها، حيث لم تقع في المحتمل »[3]، شَبَّهَتْهُ بِهِ لِأَنَّهَا خَلَّفَتْهُ تَحْتَ الْأَغْلَاقِ، فَلَمْ تُقِرَّ

---

[1] التحرير والتنوير ٩٣/١.

[2] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص٦٨٤)

[3] الكشاف (٣٦٩/٣) وينظر: مفاتيح الغيب (٥٥٨/٢٤)

بِذَلِكَ وَلَمْ تُنْكِرْ، فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ كَمَالَ عَقْلِهَا، قَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَتْ حَكِيمَةً فَقَالَتْ: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: عَرَفَتْهُ وَلَكِنْ شَبَّهَتْ عَلَيْهِمْ كَمَا شَبَّهُوا عَلَيْهَا، وَلَوْ قِيلَ لَهَا: أَهَذَا عَرْشُكِ لَقَالَتْ نَعَمْ هُوَ[1]، وقال ابن كثير(ت٧٧٤ هـ): «﴿فَلَمَّا «﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾أَيْ: عُرِضَ عَلَيْهَا عَرْشُهَا، وَقَدْ غُيِّرَ وَنُكِّرَ، وَزِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ مِنْهُ، فَكَانَ فِيهَا ثَبَاتٌ وَعَقْلٌ، وَلَهَا لُب وَدَهَاءٌ وَحَزْمٌ، فَلَمْ تُقْدِمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ لِبُعْدِ مَسَافَتِهِ عَنْهَا، وَلَا أَنَّهُ غَيْرُهُ، لِمَا رَأَتْ مِنْ آثَارِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِنْ غُيِّرَ وَبُدِّلَ وَنُكِّرَ، فَقَالَتْ: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾أَيْ: يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الذَّكَاءِ وَالْحَزْمِ»[2]، وقال البقاعي(ت٨٨٥ هـ): «﴿أَهَٰكَذَا﴾ أمثل ذا العرش ﴿عَرْشُكِ قَالَتْ﴾ عادلة عن حق الجواب من «نعم» أو «لا» إشارة إلى أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا في «كأن زيداً قائم»: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾وذلك يدل على ثبات كبير، وفكر ثاقب، ونظر ثابت، وطبع منقاد، لتجويز المعجزات والإذعان لها مع دهشة القدوم، واشتغال الفكر بما دهمها من هيبته وعظيم أمره، فعلم سليمان عليه السلام رجاحة عقلها، وبطلان ما قال الشياطين من نقصه ... »[3].

وقال الآلوسي(ت١٢٧٠ هـ): « ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾أجابت بما أنبأ عن كمال عقلها؛ حيث لم تجزم بأنه هو لاحتمال أن يكون مثله، بل أتت بـ«كأن» الدالة كما قيل على غلبة الظن في اتحاده معه مع الشك في خلافه، وليست «كأن» هنا للدلالة على التشبيه كما هو الغالب فيها. وذكر

---

[1] الجامع لأحكام القرآن (٢٠٧/١٣)

[2] تفسير ابن كثير (١٩٤/٦)

[3] نظم الدرر في تناسب الآي والسور ١٦٨/١٤.

ابن المُنَيِّر(٦٢٠ – ٦٨٣ هـ) في الانتصاف[١]ما يدل على أنها تفيد قوة الشبه فقال: الحكمة في عدول بلقيس في الجواب عن هكذا هو المطابق للسؤال إلى ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾أن ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾عبارة من قوي عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين وكاد يقول هو هو وتلك حال بلقيس، وأما هكذا هو فعبارة جازمة بتغاير الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلا تطابق حالها فلذا عدلت عنها إلى ما في النظم الجليل[٢]، وقد أكثرت من نقل نصوص هؤلاء المفسرين الأعلام للتأكيد على دلالة الذكاء اللغوي في القول الكريم.

وقد غمز المنافقون رسول الله ﷺ بما يدل على قلة ذكائه وضعف فطنته ــ قاتلهم الله أنى يؤفكون ــ ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١] يقول الرازي(ت٦٠٦ هـ): « اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى أَنَّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْإِيذَاءَ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ أُذُنٌ، وَغَرَضُهُمْ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذَكَاءٌ وَلَا بُعْدُ غَوْرٍ، بَلْ هُوَ سَلِيمُ الْقَلْبِ، سَرِيعُ الِاغْتِرَارِ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ سَمَّوْهُ بِأَنَّهُ أُذُنٌ، كَمَا أَنَّ الْجَاسُوسَ يُسَمَّى بِالْعَيْنِ يُقَالُ: جَعَلَ فُلَانٌ عَلَيْنَا عَيْنًا، أَيْ جَاسُوسًا مُتَفَحِّصًا عَنِ الْأُمُورِ، فكذا هاهنا» [٣].

---

[١] الانتصاف فيما تضمنه الكشاف (٣٦٩/٣).

[٢] روح المعاني (٢٠١/١٠).

[٣] مفاتيح الغيب (٩٠/١٦).

ب ــ إشارات السنة النبوية إلى الذكاء اللغوي: فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[1]، **فقَوْله «أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ» أَي:** أفطن بهَا وأقوم، واللحن مُشْتَرك بَين الْخَطَأ والفطنة، وَقيل إِنَّمَا يُقَال فِي الفطنة بِالتَّحْرِيكِ[2]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَفْصَحَ تَعْبِيرًا عَنْهَا وَأَظْهَرَ احْتِجَاجًا حَتَّى يُخَيَّلُ أَنَّهُ مُحِقٌّ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُبْطِلٌ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَبْلَغُ ... أَيْ: أَحْسَنَ إِيرَادًا لِلْكَلَامِ[3].

قال أبو عبيد(ت٣٢٤ هــ): « قَوْله: «لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ» يَعْنِي أفطن لَهَا وأجدل... وَمِنْه قَول عمر بْن عبد الْعَزِيز (٦١ – ١٠١ هــ): عجبت لمن لاحن النَّاس كَيفَ لَا يعرف جَوَامِع الْكَلم، يُقَال مِنْهُ: رجل لَحِن إِذا كَانَ فَطِنا» [4]، وقال ابن فارس(ت٣٩٥ هــ): «اللَّامُ وَالْحَاءُ وَالنُّونُ لَهُ بِنَاءَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى إِمَالَةِ شَيْءٍ مِنْ جِهَتِهِ، وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ ... ، يُقَالُ لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْنًا، وَهُوَ لَحِنٌ وَلَاحِنٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ»» [5].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، بَابُ مَوْعِظَةِ الإِمَامِ لِلْخُصُومِ ٧١٦٨/٦٩/٩.

[2] فتح الباري ١٨٢/١و مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٤٤١/٦و الجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/١٦.

[3] عون المعبود ٣٦٢/٩.

[4] غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢٣٢٣/٢.

[5] مقاييس اللغة(ل ح ن).

وقَالَ الرَّاغِبُ(ت٥٠٢ هـ): « اللَّحْنُ: صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ سَنَنِهِ الْجَارِي عَلَيْهِ، إِمَّا بِإِزَالَةِ الْإِعرَابِ، أَوِ التَّصْحِيفِ وَهُوَ المَذْمُومٌ، وَذَلِكَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا، وَإِمَّا بِإِزَالَتِهِ عَنِ التَّصْرِيحِ وَصَرْفِهِ بِمَعْنَاهُ إِلَى تَعْرِيضٍ وَفَحْوَى، وَهُوَ مَحْمُودٌ عند أكثر الأدباء مِنْ حَيْثُ الْبَلَاغَةِ، وَإِيَّاهُ قَصَدَ الشَّارِعُ بِقَوْلِهِ:

وَخَيْرُ الْأَحَادِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا[1]

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[محمد: ٣٠] ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلَّفطن بمَّا يَقْتَضِي فَحْوَى الْكَلَامِ: لَحْنٌ، وَفِي الْحَدِيث« لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ»؛ أَيْ: أَلْسَنُ وَأَفْصَحَ وَأَبْيَنَ كَلَامًا، وَأَقْدَرَ عَلَى الْحُجَّةِ»[2].

ــ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، ﷺ: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ البَيَانِ لَسِحْرٌ [3]، قَالَ أَبُو عبيد(ت٣٢٤ هـ): هُوَ من الْفَهم وذكاء الْقلب، قَالَ القَاضِي فِيهِ تَأْوِيلَانِ: أَحدهمَا: أَنه ذمّ؛ لِأَنَّهُ إمالة للقلوب فِي صرفهَا بمقاطع الْكَلَام حَتَّى تكسب من الإثم كَمَا تكسب بِالسحرِ ... وَالثَّانِي: أَنه مدح؛ لِأَن الله امتن على عباده بتعليم الْبَيَان وَشبهه بِالسحرِ

---

[1] عجز بيت من الخفيف لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في معجم الشعراء(ص٣٦٤) ومعجم الأدباء (٢٤/١) وصدره:
وَمَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَن أحْيَاناً

[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٧٣٩.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، بَابُ الدَّوَاءِ بِالعَجْوَةِ لِلسِّحْرِ ٥٧٦٧/١٣٨/٧.

لميل الْقُلُوب إِلَيْهِ، وَأَصل السحر الصّرْف فالبيان يصرف الْقُلُوب ويميلها إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ. قَالَ النَّوَوِيّ وَهَذَا التَّأْوِيل الثَّانِي هُوَ الصَّحِيح الْمُخْتَار(١).

ــ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا (٢)،وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ ضَرْبِ الْمَثَلِ وَتَشْبِيهِ شَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ بِمِثْلِهِ مَسْلُوبَ الصِّفَةِ وَفِيهِ بَلَاغَةُ عَائِشَةَ رضي الله عنها وَحُسْنُ تَأَتِّيهَا فِي الْأُمُورِ (٣).

ــ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ»(٤)، قَالَهُ ﷺ مُبَاسِطًا لَهُ بِمَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ شِفَاءً لِبَلَهِهِ بَعْدَ ذَلِكَ (٥)، لَمَّا كَانَ الْمُتَعَارَفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ فِي بَادِي الرَّأْيِ اسْتِعْمَالَ وَلَدِ النَّاقَةِ فِيمَا كَانَ صَغِيرًا لَا يَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ وَإِنَّمَا يُقَالُ لِلصَّالِحِ الْإِبِلُ تَوَحُّشُ الرَّجُلِ عَلَى فَهْمِ الْمَعْنَى(٦).

---

(١) شرح السيوطي على مسلم ٤٤٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار (٥٠٧٧/٥/٧)

(٣) فتح الباري (١٢١/٩).

(٤)أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح ٤٩٩٨/٣٠٠/٤ والترمذي في سننه: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح ١٩٩١/٣٥٧/٤ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: صحيح.

(٥)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠٦٢/٧)

(٦)عون المعبود (٢٣٣/١٣)

ــ عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَدِيٍّ، قَالَ: أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، قَالَ: «إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ»[1].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ(ت٣٨٨ هـ) فِي الْمَعَالِمِ[2]: فِي قَوْلِهِ ﷺ «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يُرِيدُ: إِنَّ نَوْمَكَ لَكَثِيرٌ، وَكَنَّى بِالْوِسَادَةِ عَنِ النَّوْمِ؛ لِأَنَّ النَّائِمَ يَتَوَسَّدُ، أَوْ أَرَادَ إِنَّ لَيْلَكَ لَطَوِيلٌ إِذَا كُنْتَ لَا تُمْسِكُ عَنِ الْأَكْلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْعِقَالُ.

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّهُ كَنَّى بِالْوِسَادَةِ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعُهُ مِنْ رَأْسِهِ وَعُنُقِهِ عَلَى الْوِسَادَةِ إِذَا نَامَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فُلَانٌ عَرِيضُ الْقَفَا إِذَا كَانَ فِيهِ غَبَاوَةٌ وَغَفْلَةٌ .. وَجَزَمَ الزَّمَخْشَرِيُّ(ت٥٣٨ هـ) [3] بِالتَّأْوِيلِ الثَّانِي، فَقَالَ: إِنَّمَا عَرَّضَ النَّبِيُّ ﷺ قَفَا عَدِيٍّ لِأَنَّهُ غَفَلَ عَنِ الْبَيَانِ، وَعُرْضُ الْقَفَا مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قِلَّةِ الْفَطِنَةِ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧] "٦/٢٦/٤٥٠٩.

[2] معالم السنن (٢/١٠٥)

[3] الكشاف (١/٢٣٢) والفائق في غريب الحديث (٤/٦٠).

[4] قال: وأنشدتني بعض البدويات لبدوي:

عَرِيضُ القَفَا مِيزَانُهُ فِي شِمَالِهِ ... قَدِ انْحَصَّ مِنْ حَسْبِ القَرَارِيطِ شَارِبُهْ

==

قال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ): « مَعْنَى الْخَيْطِ فِي الْآيَةِ ظَاهِرٌ لِلْعَرَبِ، فَالتَّعْبِيرُ بِهِ مِنْ قَبِيلِ الظَّاهِرِ لَا مِنْ قَبِيلِ الْمُجْمَلِ، وَعَدَمُ فَهْمِ بَعْضِهِمُ الْمُرَادَ مِنْهُ لَا يَقْدَحُ فِي ظُهُورِ الظَّاهِرِ، فَالَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مَعْنَى الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ وَالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، فَهِمُوا أَشْهَرَ مَعَانِي الْخَيْطِ وَظَنُّوا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧] مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ يَتَبَيَّنَ عَلَى أَنْ تَكُونَ (مِنْ) تَعْلِيلِيَّةً أَيْ يَكُونُ تَبَيُّنُهُ بِسَبَبِ ضَوْءِ الْفَجْرِ، فَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيءُ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ- أَوْ إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا» كِنَايَةً عَنْ قِلَّةِ الْفِطْنَةِ وَهِيَ كِنَايَةٌ مُوَجَّهَةٌ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ عليه السلام » [(١)].

ج ــ تجسيد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم للذكاء اللغوي، ومن أمثلة ذلك:

ــ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أيّ الطعام أحبّ إليك؟ قال: الزُّبْدُ والكَمْأَةُ[(٢)]. فقال: ما هما بأحبّ الطعام إليه، لكنّه يحبّ الخصب للمسلمين،

==

يصف رجلا بالغباوة على طريق الكناية، فعرض القفا: كناية عن الحمق، وكون ميزانه في شماله: كناية عن البلة، وانحص: أي انحسر شاربه، لكثرة ما يعض على شفته عند الحسب، كناية عن البلادة.

[(١)] التحرير والتنوير (١٨٥/٢)

[(٢)] الْكَمْأَةُ ــ بِفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْمِيمِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ مَفْتُوحَةٌ ــ ... نَبَاتٌ لَا وَرَقَ لَهَا وَلَا سَاقَ، تُوجَدُ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُزْرَعَ، قِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاسْتِتَارِهَا يُقَالُ كَمَأَ الشَّهَادَةَ إِذَا كَتَمَهَا، وَمَادَّةُ الكمأة من جَوْهَر أرضي بُخَارَى يَحْتَقِنُ نَحْوَ سَطْحِ الْأَرْضِ بِبَرْدِ الشِّتَاءِ وَيُنَمِّيهِ مَطَرُ الرَّبِيعِ فَيَتَوَلَّدُ وَيَنْدَفِعُ مُتَجَسِّدًا وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ يُسَمِّيهَا جُدَرِيَّ الْأَرْضِ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْجُدَرِيِّ مَادَّةً وَصُورَةً لِأَنَّ مَادَّتَهُ رُطُوبَةٌ دَمَوِيَّةٌ تَنْدَفِعُ غَالِبًا عِنْدَ التَّرَعْرُعِ وَفِي ابْتِدَاءِ اسْتِيلَاءِ الْحَرَارَةِ وَنَمَاءِ الْقُوَّةِ وَمُشَابَهَتُهَا لَهُ فِي ==

فما أحسن ما كنى عن إيثاره الخير، وما أحسن فطنة عمر له! [١].

ـ قال عمرو بن العاص (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ): ما رأيت أحدا كلّم عمر ﷺ إلا رحمته؛ لأنه كان لا يخدع أحدا لفضله، ولا يخدعه أحد لفطنته. وقال إِيَاسُ بنُ مُعَاوِيَةَ (٤٦ - ١٢٢ هـ): لست بخبّ ولا الخبّ يخدعني، وقيل لرجل:- فيك فطنة، فقال: ما ذنبي إذ خلقني الله عاقلا [٢].

==

الصُّورَةِ ظَاهِرٌ ، ... وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْكَمْأَةَ أَيْضًا بَنَاتَ الرَّعْدِ لِأَنَّهَا تَكْثُرُ بِكَثْرَتِهِ ثُمَّ تَنْفَطِرُ عَنْهَا الْأَرْضُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِأَرْضِ الْعَرَبِ وَتُوجَدُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ فَأَجْوَدُهَا مَا كَانَتْ أَرْضُهُ رَمْلَةٌ قَلِيلَةُ الْمَاءِ. (فتح الباري ١٠/١٦٣) .

= وأخرج مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، بَابُ فَضْلِ الْكَمْأَةِ، وَمُدَاوَاةِ الْعَيْنِ بِهَا ٣/١٦٢٠/٢٠٤٩: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ».

= والزُّبْدُ، بالضمّ، وكرُمَّان ، الأَخيرة عَن الصاغانيّ: زُبْدُ السَّمْنِ قبل أَن يُسْلأَ والقِطْعَة مِنْهُ زُبْدَةٌ، وَهُوَ مَا خَلَصَ من اللَّبَن إِذا مُخِضَ. وزَبَدُ اللَّبَنِ : رَغْوَتُه، وَفِي الْمُحكم: الزُّبْدُ: خُلَاصة اللَّبَنِ. (تاج العروس: ز ب د).

*وعنْ ابْنَيْ بُسْرٍ السُّلَمِيَّيْنِ قَالَا: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«فَقَدَّمْنَا زُبْدًا وَتَمْرًا وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ وَالتَّمْرَ» (أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأطعمة، بَابٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ لَوْنَيْنِ فِي الْأَكْلِ ٣/٣٦٣/٣٨٣٧ وقال الألباني: صحيح.

[١] التذكرة الحمدونية ٨/٢٩٤.

[٢] محاضرات الأدباء ١/٤١.

وسمع أعرابي رجلا يقرأ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[القمر: ١٤]، قال بفتح الكاف، فقال الأعرابي: لا يكون. فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء، فقال الأعرابي: يكون [١].

وإذا كان الذكاء اللغوي سببا لنجاة صاحبه كما سنرى في المستوى النحوي من المبحث الثاني فإن الذكاء اللغوي قد يكون سببا في الموت، حكى إن قرشياً سأل خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي(ت نحو ١٣٣ هـ) عن اسمه فانتسب له، فقال القرشي: إن اسمك لكذب؛ ما أحد في الدنيا بخالد، وإن أباك لحجر بعيد من الرشيح[٢]، وإن جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم. فقال له خالد: قد سألت فأجبتك، فممن أنت؟ قال: من قريش. قال: من أي قريش أنت؟ قال: من بني عبد الدار. قال خالد: لم تصنع شيئا يا أخا عبد الدار ؛ فمثلك يشتم تميماً في عزها وشرفها وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية، وجمحت بك جُمح[٣]، ورضخت رأسك فِهر[٤]، وخزمت أنفك مخزوم ، ولوت بك لؤي، وغلبتك غالب، ونفتك مناف، وزهرت عليك زُهرة[٥]،

---

[١] البيان والتبيين (٢٢٢/٢) ومعجم الأدباء (٩١/١)

[٢] حجر صلد أملس نقي من التُّرَاب (الكليات ٥٦٦) والرَّشيحُ مَا عَلَى وجْهِ الأَرضِ من النَّباتِ(اللسان: ر ش ح).

(٣) جبل لبني نمير . تاج العروس (ج م ح)

(٤) قبيلة من قريش . تاج العروس: (ف ه ر)

(٥) زُهرة بن كلاب بن مرة أبو حي من قريش وهم أخوال النبي ‘ ومنهم أمه . تاج العروس (ز هـ ر)

وأقصتك قُصي[1]، فجعلتك عبد دارها، ومنتهى عارها، تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا، فخر الرجل ميتاً من شدة الغيظ ، فكانت امرأته تنادي في أزقة البصرة صارخة: خالد قتل بعلي بلسانه ، وادعى أهله على خالد بديته ؛ لأنه مات بسبب كلامه[2].

وهذا ذكاء لغوي يتمثل في استعمال دلالات التسمية في سياق الذم، ويدل على سعة العربية في تنوع المعنى من خلال تعليل التسمية.

ومما يقرب من هذا أن رجلا كان له قطعة من أرض بجنب أرض لرجل، فكان يضم كل سنة قطعة منها إلى أرضه. فقال له يوما: ما هذا النقصان في أرضنا؟ فقال: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ [الرعد:٤١]قال: فما هذه الزيادة في أرضك؟ قال﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة:٥٤] [الحديد:٢١] [الجمعة:٤]، قال: فمن أين أوتيت الفضل وأوتيت النقص في ذلك؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة:١٠١] [3].

استطاع الرجل أن يغتصب بعض أرض جاره اعتمادا على ذكائه اللغوي في استعمال السياق القرآني، وإن كان في غير محله فهو اقتباس مذموم لكنه يدل على الذكاء والدهاء.

---

(١) قُصَي بن كلاب بن مرة وهو الجد الخامس لرسول الله ، واسمه زيد . تاج العروس (ق ص و)

[2] غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة(ص٢٠٠).

[3] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢٧١/١).

د ــ وقال رجل لأبي حنيفة(٨٠ ــ ١٥٠ هـ): ما تقول في رجل قال: لا أرجو الجنّة ولا أخاف النار، وآكل الميتة وأشهد بما لم أر، ولا أخاف الله، وأصلّي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحقّ وأحبّ الفتنة؟ قال أبو حنيفة، وكان هو يعرفه شديد البغض له: يا فلان، سألتني عن هذه المسألة ولك بها علم؟ قال: لا، ولكن لم أجد شيئا هو أشنع من هذا فسألتك عنه، قال: فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا؟ قالوا: شرّ رجل هذه صفة كافر، قال: فتبسّم أبو حنيفة وقال له: لقد شنّعت القول فيه، ثم قال: هو والله من أولياء الله حقّا، ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنّه من أولياء الله حقّا تكفّ عني شرّك، ولا تمل على الكتبة ما يضرّك؟ قال: نعم، قال أبو حنيفة: أما قولك: إنّه لا يرجو الجنّة ولا يخاف النار، فإنه يرجو ربّ الجنة ويخاف ربّ النار، وقولك: لا يخاف الله، فإنّه لا يخاف ظلمه ولا جوره وقال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، وقولك: يأكل الميتة، فهو يأكل السّمك، وقولك: يصلي بلا ركوع ولا سجود، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبيّ ﷺ، وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلّي عليها ويعتبر ويقصّر أمله ويصلّي على كلّ مسلم ومسلمة، ويدعو للأحياء والأموات ومن هو آت من المؤمنين والمؤمنات، وقولك: يشهد بما لم ير، فهو شهادة الحقّ، يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، وقولك: يبغض الحقّ، فهو يحبّ البقاء حتى يطيع الله ويكره الموت وهو الحقّ، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[ق:١٩]، وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقرأ: «وجاءت سكرة الحقّ بالموت»[1] ، وأما الفتنة فالقلوب مجبولة على

(١) نسبت لأبي بكر ﷺ، وسعيد بن جبير، وطلحة في شواذ القراءات٢/٧٥٨، والمغني في القراءات ٤/١٧٠٥

حبّ المال والولد وذاك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[التغابن:١٤ ــ ١٥](١).

وَسُئِلَ ابْنُ الجَوْزِيِّ(ت٥٩٧ هــ) وَالخَلِيْفَة يسمع: مَنْ أَفْضَلِ النَّاس بَعْد رَسُوْل الله ﷺ ؟ قَالَ: أَفْضَلهُم بَعْدَهُ مَنْ كَانَتْ بِنْته تَحْته.

وَهَذَا جَوَاب جَيِّد يَصدق عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى عليّ ــ f (٢).

وما كان هذا الجواب إلا لسعة الأفق وبعد النظر ،وكانت الأجواء بين الشيعة والسنة مشحونة، فقال أهل السنة: يقصد أبا بكر؛ لأن ابنته عائشة كانت تحت رسول الله ﷺ ، قالت الشيعة: بل يقصد عليًّا؛ لأن بنته فاطمة ــ رضي الله عنها ــ كانت تحته.

هـ- ويكثر في كتب التراجم والأدب الجواب المسكت: وهو تعليق خاطف على سؤال محرج، ويتكون من جمل قصيرة يرد بها أحدهم على الكلام الموجه إليه، " قيل لأبي العَيْناء (١٩١ - ٢٨٣ هــ): فلانٌ يضحك منك! فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾[المطففين:٢٩]، وهذا من الأجوبة المُسْكتة" (٣)، وأدركت الخنساء (٠٠٠ - ٢٤ هــ) الإسلام ، وحسن إسلامها ، فقالت لها عائشة يوماً: أتبكين صخراً وهو في

(١) التذكرة الحمدونية ٢٩٢/٨.

(٢) سير أعلام النبلاء(٣٧١/٢١) .

(٣)الذخائر والعبقريات (١٨٥/٢).

النار ، فقالت هو أشد لجزعي عليه وأدعي للبكاء، فعد من الأجوبة المسكتة" [1].

قال عاصم بن بهدلة: اجتمعوا عند الحجاج (٤٠ - ٩٥ هـ) فذكر الحسين بن علي، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم وعنده يحيى بن يعمر (٠٠٠ - ١٢٩ هـ) قال له: كذبت أيها الأمير، فقال: أتأتيني على ما قلت ببينة ومصداق من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك، قال ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام:٨٥]، فأخبر الله أن عيسى بن مريم من ذرية آدم بأمه، والحسين بن علي من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم قال: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي ؟قال: ما أخذ الله على الأنبياء ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، قال فنفاه إلى خراسان[2].

ما أرق هذه القراءة السياقية للقرآن الكريم، أنجت صاحبها من القتل، ولقي خالد بن صفوان الفرزدق، وكان كثيرا ما يداعبه، وكان الفرزدق(٠٠٠ - ١١٠ هـ) دميما؛ فقال له. يا أبا فراس، ما أنت بالذي لما ﴿رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٣١] قال له: ولا أنت أبا صفوان

---

[1] تزيين الأسواق (٤٥/٢).

[2] تاريخ دمشق(١٥٢/١٢).

بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[القصص:٢٦] (١).

إن شأن هذه المحاورات المعتمدة على توقد الذهن في الرد حري أن يطلعنا على ذكاء أعلامنا القدامى وجدير أن يتأسى بهم طلاب العربية في كل مكان.

وقال الوليد العنبريّ: مرّت امرأة من بني نمير على مجلس لهم، فقال رجل منهم: أيتها الرَّسحاء(٢). فقالت المرأة: يا بني نمير، والله ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: ٣٠] ، وقال الشاعر:

فَغُضَّ الطـرْف، إنَّـكَ مِـنْ نُمَيْـرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ، وَلَـا كِلابـا (٣) (٤).

وقال محمد بن حبيب: صعد الوليد بن عبد الملك (٤٨ – ٩٦ هـ) المنبر، فسمع صوت ناقوس فقال: ما هذا قيل البيعة، فأمر بهدمها، وتولى بعض ذلك بيده، فتتابع الناس يهدمون ، فكتب إليه الأخرم ملك الروم: إن هذه البيعة قد أقرها من قبلك، فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطأوا، فقال: من يجيبه فقال الفرزدق: تكتب إليه: ﴿وَدَاوُۥدَ

(١) العقد الفريد(١٣٠/٤) وعيون الأخبار(٤٣٥/١).

(٢) الرّسَم: قلة لحم العجز والفخذين، والرسحاء القبيحة من النساء. تاج العروس: (ر س ح)

(٣) البيت من الوافر لجرير في ديوانه (ص٧٥).

(٤) الإمتاع والمؤانسة(ص٣٨٢).

وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[الأنبياء:٧٩] [١]، فحمد سليمان ولم يذم داود ، [٢].

وبالنظر في هذه الأمثلة نجد أن منتجي هذا النوع من الخطاب يحرصون على الصياغة

و- إن الذكاء اللغوي مطلوب في كل العلوم فعلى سبيل المثال يقول القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢ هـ):" إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء، ثم تكون الدُّرْبَة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرِّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان" [٣].

ـ وربما كانت أكثر محاولات دراسة الذكاء مباشرة وعمومية هي دراسات ابن الجوزي(٥١٠ ـ ٥٩٧ هـ) عن الذكاء، وذلك في كتابه عن الأذكياء، وقد ناقش ابن الجوزي في كتابه قضايا البيئة والوراثة والعلاقة بين التكوين الجسمي والذكاء وأثر المناخ في الذكاء؛ إلا أن جانبين رئيسين استأثرا باهتمام ابن الجوزي عند دراسته للذكاء: الأول هو الذكاء اللفظي، والثاني: هو الذكاء العملي، وربما يمكن فهم تركيز ابن الجوزي على هذين الجانبين ـ أي المفردات وحل المشكلات ـ عند دراسة الذكاء في

---

[١] وفيات الأعيان(٩٧/٦) ومروج الذهب ومعادن الجوهر(١٦٦/٣) والعقد الفريد(٧٢/٢) وينظر: تاريخ دمشق(٤٧/٧٤) فالرواية فيه بسياق مختلف.

[٢] أخبار القضاة(٣١٣/١) وتاريخ دمشق(٢٥/١٠).

[٣] الوساطة بين المتنبي وخصومه(ص١٥).

ضوء أهمية اللغة في حياة العرب قبل الإسلام وبعده، وفي ضوء أهمية حل المشكلات التي تواجههم سواء في بيئتهم الأصلية القاسية أو في البلاد الجديدة التي فتحوها بعد الإسلام[١] .

قَالَ مؤلف الْكتاب: وَاعْلَم أَن الْعَرَب تضرب الْمثل للذكي بالدهاء، فَيَقُولُونَ: أدهى من قيس بن زُهَيْر، وَهُوَ سيد عبس، وَكَانَ شَدِيد الذكاء، وَمن كَلَامه: أَرْبَعَة لَا يطاقون: عبد ملك، ونذل شبع، وَأمة ورثت، وقبيحة تزوجت[٢].

كَمَا قِيلَ لِلرَّجُلِ الذَّكِيِّ: هُوَ نَارٌ تَشْتَعِلُ [٣]، والعاقل لا يكون جاهلا ولا يكون الذكي بليدا [٤]، ومقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر [٥].

ح- يحرص منتجو هذا النوع من الخطاب على الصياغة الدقيقة التي تتدخل في تشكيلها الأبعاد اللغوية والبلاغية والثقافية والنفسية والدينية، ناهيك عن الحرص على السلاسة في الخطاب الممعن في الإغراق

---

[١] الذكاء الإنساني، اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية: د. محمد طه، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،٣٣٠، أغسطس٢٠٠٦م، ص١٧.

[٢]الأذكياء لابن الجوزي ص٨٦.

[٣] مفاتيح الغيب(٢٢/ ١٤٥).

(٤) تاريخ بغداد(١٦/ ٣٧).

(٥) مفتاح العلوم(١٦٨)

والإخفاء الذي لا يطمع في أوبة[١] المتخير، والتي تسهل انسيابه وتكراره العفوي المغيب للعقل لصالح العاطفة والشعور[٢].

كما نلاحظ أن القدرة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم العقلي للإنسان؛ لأن اللغة هي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع وهي الوظيفة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، كما أنها الوسيلة الأولى التي تنشأ بها المجتمعات والحضارات، ولذلك يعد العامل اللغوي من أكثر العوامل المسئولة عن الفروق الفردية بين الأفراد في النشاط العقلي المعرفي.

وتشير هذه القدرة إلى القدرة على استخدام الكلمات شفويا وتحريريا بفاعلية وتضم القدرة على تناول ومعالجة وبناء اللغة وأصواتها ومعانيها والاستخدام العملي لها مثل: الإقناع أي استخدام اللغة لإقناع الآخرين باتخاذ مسار معين، ومعينات الذاكرة أي استخدام اللغة لتذكر المعلومات، والشرح أي استخدام اللغة للإعلام والتثقيف[٣].

إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على منزلة الذكاء عند العرب.

وقد اعتمد أصحاب الذكاء اللغوي على طرائق تعبيرية أساسها الحذف، والتقديم والتأخير، والإيجاز، والتعابير المجازية التي تتطلب فطنة وحذاقة،

---

(١) الأوب: القصد والعادة والاستقامة . تاج العروي: (أ و ب)

[٢] مكر اللغة ودهاؤها: ص٤٨.

[٣] الذكاء الوجداني وقدرته التنبؤية في ضوء علاقته بسمات الشخصية وبعض القدرات العقلية: د. ربيع عبده أحمد رشوان، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد ٤، العدد١، محرم ١٤٣٢ هـ= يناير ٢٠١١م (ص٣٩٠).

ملمة بأسرار اللمحة الدالة والومضة البارقة، التي تتخفى وراء غلالتها[1] العبارات الساحرة التي تخلب الألباب[2].

خامسا: وسائل تحقيق الذكاء وزيادته:

قامت الدراسات المبكرة في مجال الذكاء ــ خاصة في الولايات المتحدة ــ على افتراض ثبات الذكاء وعدم تغييره، حتى قامت بعض الجهود النظرية والتطبيقية التي هدفت إلى استكشاف إمكان تعديل أو زيادة معدل الذكاء، فظهرت برامج ومشاريع عديدة، منها المشروع ذكاء، والذي يرجع الفضل في تأسيسه إلى جهود السياسي والمفكر الفنزويلي لويس ألبرتو ماكادو بعد تعيينه وزير دولة لتنمية الذكاء في بلاده، وقد شكلت الحكومة الفنزويلية لجنة تتكون من مجموعة من الباحثين، ونتج عن هذا المشروع مقرر دراسي أطلق عليه الأوديسا يهدف إلى تدريس التفكير وتنمية مهارات الدارسين في عدد متنوع من المجالات، والوحدات الأساسية المكونة للبرنامج هي[3]:

١ ــ أسس الاستدلال: وتشمل الملاحظة والتصنيف والترتيب والاستدلال المكاني.

٢ ــ فهم اللغة: تتناول الاهتمام بعلاقات الكلمات وبنية اللغة والقراءة لفهم المعنى.

٣ ــ الاستدلال اللفظي: وتتناول الحجج والنقاشات اللفظية.

---

(١) شعار يلبس تحت الثوب

(٢) مكر اللغة ودهاؤها: ص٦٢.

[3]الذكاء الإنساني : د. محمد طه ص٢١٨.

٤ ــ حل المشكلات: وتؤكد على أنواع تمثيلات المشكلات .

٥ ــ اتخاذ القرار: وتشمل الأساليب المنظمة لجمع وتقييم المعلومات اللازمة للوصول إلى قرار صائب.

٦ ــ التفكير الإبداعي: وتشمل رفع مستوى وعي الدارسين بالإبداعات حولهم وبالاستراتيجيات المستخدمة في التصميمات الإبداعية.

وبالنظر في تراثنا العربي يمكننا استنباط وسائل نمو الذكاء العقلي ومنها:

١ــ لا شك« أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ الْفِطْنَةَ؛ لِأَنَّ أُصُولَ اعْتِقَادِهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى نَبْذِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ تَضْلِيلُ الرَّأْيِ وَطَمْسُ الْبَصِيرَةِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»[1] مَعَ قَوْلِهِ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٤/٢٠٣٧/٢٦٤٥ وتمامه: عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ ".

مَرَّتَيْنِ»[١]، وَكُلُّهَا تُنَادِي عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَلِيقُ بِهِ الْبَلَهُ، وَأَمَّا مَعْنَى قوله ﷺ ««الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ»[٢] فَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَمَّا زَكَتْ نَفْسُهُ عَنْ ضَمَائِرِ الشَّرِّ وَخُطُورِهَا بِبَالِهِ وَحَمْلِ أَحْوَالِ النَّاسِ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ فَعَرَضَتْ لَهُ حَالَةُ اسْتِئْمَانٍ تُشْبِهُ الْغِرِّيَّةَ[٣]، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

تلك الفتاةُ التى عُلِّقتُها عرضـــاً إنّ الكريمَ وذا الإسلام يُختلَبُ [٤]

فَاعْتَذَرَ عَنْ سُرْعَةِ تَعَلُّقِهِ بِهَا وَاخْتِلَابِهَا عَقْلِهِ بِكَرَمِ عَقْلِهِ وَصِحَّةِ إِسْلَامِهِ فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ جَوْدَةِ الرَّأْيِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ سَرِيعَ التَّأَثُّرِ مِنْهَا[٥].

٢ ــ قراءة مواقف الأذكياء، ومعايشة أحوالهم، يقول ابن الجوزي(٥١٠ ــ ٥٩٧ هـــ) في مقدمة كتابه الأذكياء: « إِن أجل الْأَشْيَاء موهبة الْعقلُ، ... فبِهِ تضبط الْمصَالح، وتلحظ العواقب، وتدرك الغوامض، وَتجمع الْفَضَائِل، وَلما كَانَ الْعُقَلَاء يتفاوتون فِي موهبة الْعقل ويتباينون فِي تَحْصِيل مَا يتقنه من التجارب وَالْعلم أَحْبَبْت أَن اجْمَعْ كتابا فِي أَخْبَار الأذكياء الَّذين

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، بَابٌ: لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ٨/٣١/٦١٣٣ .

[٢] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب في حســن العشــرة ٤/٢٥١/٤٧٩٠ وتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ» .

(٣) الغِرّ: الذي لا يفطن للشر. تاج العروس(خ ب ب)

[٤] البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه (ص٦).

[٥] التحرير والتنوير ١/٢٧٥.

قويت فطنتهم، وتوقد ذكاؤهم لقُوَّة جوهرية عُقُولهمْ، وَفِي ذَلِك ثَلَاثَة أغراض:

أَحدهَا: معرفَة أقدارهم بِذكر أَحْوَالهم.

وَالثَّانِي: تلقيحُ أَلْبَابِ السامعين إِذا كَانَ فيهم نوع استعداد لنيل تِلْكَ الْمرتبَة، وَقد ثَبت أَن رُؤْيَة الْعَاقِل ومخالطته تفِيد ذَا اللب، فسماع أخباره تقوم مقَام رُؤْيَته.

... يَقُول الْمَأْمُون(١٧٠ – ٢١٨ هـ) ... : لَا شَيْء أطيب من النّظر فِي عقول الرِّجَال.

وَالثَّالِث: تَأْدِيب المعجَب بِرَأْيِهِ إِذا سمع أَخْبَار من تعسر عَلَيْهِ لحاقه»[١].

وقد أشار علماء التراجم إلى أعلام كثر عرفوا بقوة الذكاء وصفاء القريحة والفطنة، يقول الذهبي في ترجمة اللغوي الكبير ابن سيده (٣٩٨ – ٤٥٨ هـ) :" إِمَامُ اللُّغَةِ، ابْنُ سِيْدَه أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ المُرسِيُّ ، الضَّرِيرُ، صَاحِبُ كِتَابِ المُحْكَم فِي لِسَانِ العَرَبِ، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بذكَائِهِ المَثَل" [٢].

٣ ــ الحفاظ على سلامة البدن من آفة الشِّبَع، فقد ذكر علماؤنا القدامى فِي الْجُوعِ فَوَائِد، منها: «صَفَاءُ الْقَلْبِ وَإِيقَادُ الْقَرِيحَةِ وَنَفَاذُ الْبَصِيرَةِ، فَإِنَّ

---

[١] الأذكياء لابن الجوزي (ص٥)

[٢] السابق (١٨/١٤٤).

الشِّبَعَ يُورِثُ الْبَلَادَةَ، وَيُعْمِي الْقَلْبَ، وَيُكْثِرُ الْبُخَارَ فِي الدِّمَاغِ، كَشِبْهِ الشَّبَكَةِ حَتَّى يَحْتَوِيَ عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرِ، فَيَثْقُلُ الْقَلْبُ بِسَبَبِهِ عَنِ الْجَوَلَانِ»[1].

إن قضية علاقة الذكاء بالغذاء تمثل قضية مهمة، خاصة بالنسبة إلى شعوب العالم الثالث، حيث يشيع نقص الغذاء وما يترتب عليه من عواقب بالنسبة إلى نسب ذكاء الأفراد في هذه الشعوب، الأمر الذي ينعكس على أمنها ومستقبلها، ولو على المدى البعيد[2].

٤ ــ وإذا غلب العقل الهوى صرف المساوئ إلى المحاسن، فجعل البلادة حلما، والحدة ذكاء، والمكر فطنة، والهذر بلاغة، والعي صمتا، والعقوبة أدبا، والجبن حذرا، والإسراف جورا[3].

٥- التفقه والتدبر في آيات الله القرآنية والكونية، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام:٩٨]

قال الرازي(ت٦٠٦ هـ): خَتَمَ ِ الْآيَةَ "الَّتِي اسْتَدَلَّ فِيهَا بِأَحْوَالِ النُّجُومِ بقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ﴾ وختم آخره هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ وَالْفَرْقُ أَنَّ إِنْشَاءَ الإنس من وَاحِدَةٍ، وَتَصْرِيفَهُمْ بَيْنَ أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ أَلْطَفُ وَأَدَقُّ صَنْعَةً وَتَدْبِيرًا، فَكَانَ ذِكْرُ الْفِقْهِ هَاهُنَا لِأَجْلِ أَنَّ الْفِقْهَ يُفِيدُ مَزِيدَ فِطْنَةٍ وَقُوَّةٍ وَذَكَاءٍ

---

[1] مرقاة المفاتيح(٨/٣٢٥١).

[2] الذكاء الإنساني: د. محمد طه ص٢٢٨.

[3] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣/٤٥٣.

وفهم" [1]، وقال البقاعي(ت٨٨٥ هـ):" ولما كان إنشاء الناس من نفس واحدة وتصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جداً ألطف وأدق صنعة، فكان ذلك محتاجاً إلى تدبر واستعمال فطنة وتدقيق نظر، قال: ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾أي لهم أهلية الفقه والفطنة" [2].

مظاهر الذكاء اللغوي ومظانه:

يمكننا تصنيف مظاهر الذكاء اللغوي إلى ما يأتي:

١ ــ الذكاء اللفظي، وهو ما يتجلى في العناية بمعاني المفردات وإدراك الفروق الدقيقة بينها، وكيفية التلاعب بالألفاظ، والقدرة على معرفة المعنى الواحد باختلاف الكلمات المعبرة عنه.

٢ ــ الذكاء العملي، أو قدرة حل المشكلات، والتي تعتمد على إدراك المشكلة وسرعة الاستجابة لها، على شاكلة أجوبة مسكتة مستظرفة، تنطوي على فطنة وذكاء.

مظان معرفة الذكاء اللغوي في تراثنا العربي:

١ ــ المصنفات التي أفردها أصحابها للذكاء ككتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) ففيه صور للذكاء المعتمد على اللغة ومعطياتها.

٢ ــ الأبواب التي عُقدت للذكاء، كبَاب الْأَجْوِبَة المسكتة وَحسن البديهة في أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب لابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ)، وكما فعل برهان الدين الكتبي(ت٧١٨هـ)

---

[1] مفاتيح الغيب (٨٢/١٣)

[2] نظم الدرر (٢٠٨/٧)

في كتابه" غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة" حيث جعل الباب السابع في الذكاء، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول في مدح الفطن والأذهان المعظمة من قدر المهان، الفصل الثاني في ذكر البداهة البديعة والأجوبة المفحمة السريعة، الفصل الثالث فيمن سبق بذكائه وفطنته إلى ورود حياض منيته[١]، و كشهاب الدين الأبشيهي (ت: ٨٥٢ هـ) في كتابه" المستطرف في كل فن مستظرف" حيث عقد الباب الثامن في الأجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك[٢].

٣ ــ العبارات الدالة على الذكاء والفطنة في كتب الشروح و التراجم، وفيها ، مثل: قول أَبي عبيد(ت٣٢٤ هـ):" هُوَ من الْفَهم وذكاء الْقلب"[٣]، وقول غيره " وما أحسن فطنة عمر له! "[٤]، وكالجواب المسكت[٥]، وغيرها من العبارات التي تظهر في ثنايا البحث.

٤ ــ كتب المحاضرات والمحاورات ، كنثر الدر في المحاضرات لأبي سعد الآبي (ت: ٤٢١ هـ) ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)،و ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧ هـ)، والمحاضرات والمحاورات لجلال الدين

---

[١]غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة (ص١٨٢ ــ ٢١٦).

[٢]المستطرف في كل فن مستظرف ص٦٨.

[٣] شرح السيوطي على مسلم ٤٤٨/٢.

(٤) التذكرة الحمدونية ٢٩٤/٨.

(٥) وهو تعليق خاطف على سؤال محرج، ويتكون من جمل قصيرة يرد بها أحدهم على الكلام الموجه إليه

السيوطي (ت: ٩١١ هـ) والمحاضرات في اللغة والأدب لنور الدين اليوسي (ت: ١١٠٢ هـ).

٥ ـ النوادر والقصص في كتب الأدب كعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨ هـ).

٦ ـ كتب الأحاجي والألغاز اللغوية كاللفظ اللائق والمعنى الرائق لشهاب الدين أحمد بن هارون.

٧ ـ المناظرات الفقهية والعقدية ، والأسئلة العلمية في شكل القصائد المعمية[١].

(١) ينظر على سبيل المثال : القصيدة البديعة العربية الجامعة لشتات الفضائل والرموز العلمية لابن الخشاب (ت٥٦٧ هـ) (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ١١٦ ـ ١٢٣).

المبحث الثاني

صور من الذكاء اللغوي في ضوء المستويات اللغوية

أولا: المستوى الصوتي.

ثانيا: المستوى الصرفي.

ثالثا: المستوى النحوي.

رابعا: المستوى المعجمي.

خامسا: المستوى السياقي.

سادسا: المستوى التداولي.

سابعا: المستوى الخطي.

أولا: المستوى الصوتي:

من أمثلة الذكاء اللغوي على المستوى الصوتي ما ذكره أبو حَاتِمٍ بنِ أَبِي الفَضْلِ الهَرَوِيِّ: بلغني أن صالحا، يعني ــ جَزَرَةَ ــ(٢٠٥ــ٢٩٣هــ)[١] سمع بعض الشيوخ، يقول: إن السين والصاد يتعاقبان، قال: فسأل بعض تلامذته عن كنية الشيخ، فقال له: أَبُو صَالِحٍ، قال: فقلت للشيخ: يَا أَبَا سَالِح، أَسْلَحَكَ اللهُ، هَلْ يَجُوْزُ أَنْ تَقْرَأَ: (نَحْنُ نَقُسُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَسَس)[٢] ؟قال: فَقَالَ لِي بَعْضُ تلاَمِذَتِه: تُواجِهُ الشَّيْخ بِهَذَا؟ فقلت: إنه يكذب، إنما تتعاقب السين والصاد في بعض المواضع، وهذا يذكره على الإطلاق[٣].

ومن ذلك ما حكاه الحريري(ت٥١٦ هــ) صاحب " درة الغواص " أيضاً في أوائل الكتاب في قوله: ويقولون للمريض : مسح الله ما بك، بالسين، والصواب فيه مصح، بالصاد، فقال: ويحكى: أَن النَّضر بن شُمَيْل الْمَازِني(١٢٢ – ٢٠٣ هــ) مرض، فَدخل عَلَيْهِ قوم يعودونه، فَقَالَ لَهُ رجل مِنْهُم يكنى أَبَا صَالح: مسح الله تَعَالَى مَا بك، فَقَالَ لَهُ: لَا تقل: مسح،

---

[١] صَالِحُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَبِيْبٍ الأَسَدِيُّ جَزَرَةُ ... الإِمَامُ الحَافِظُ الكَبِيْرُ الحُجَّةُ، مُحَدِّثُ المَشْرِقِ، أَبُو عَلِيٍّ الأَسَدِيُّ البَغْدَادِيُّ، المُلَقَّبُ جَزَرَة – بِجِيْمٍ وَزَايٍ – نَزِيْلَ بُخَارَى، مَوْلِدُهُ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمَائَتَيْنِ بِبَغْدَادَ. ... حَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ خَارِجَ (الصَّحِيْحِ) وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ بِقَلِيْلٍ ... وَمَاتَ: فِي آخِرِ سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ وَمَائَتَيْنِ. (سير أعلام النبلاء ١٤/٢٣).

(٢) والآية كما في المصحف قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ } [سورة يوسف:٣].

[٣] تاريخ بغداد (١٠/٤٣٩) وتاريخ د دمشق (٢٣/٣٨٩) وتاريخ الإسلام (٦/٩٥٣) وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٨).

بِالسِّين وَلَكِن قل: مصح بالصَّاد، أَي أذهبه الله وفرقه، أما سَمِعت قَول الشَّاعِر:

وَإِذا مَـــا الْخمـــر فِيهَـــا أزبـــد أفل الازباد فِيهَـــا ومصـــح[1]

فَقَالَ لَهُ الرجل: إِن السِّين قد تبدل من الصَّاد كَمَا يُقَال: الصِّرَاط والسراط، وصقر وسقر، فَقَالَ لَهُ النَّضر: فَأَنت إِذا أَبُو سالح.

وَيُشبه هَذِه النادرة مَا حُكيَ أَيْضا أَن بعض الأدباء جوز بِحَضْرَة الْوَزِير أبي الْحسن بن الفُرَاتِ (٢٤١ – ٣١٢ هـــ) أَن تُقَام السِّين مقَام الصَّاد فِي كل مَوضِع، فَقَالَ لَـــهُ الْـــوَزِير: أَتَقْـــرَأُ: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[الرعد:٢٣] أم (وَمن سَلَحَ)؟ فَخَجِلَ الرجل وَانْقطع[2].

إن هذه المحاورات اللغوية الثلاث قد اعتمد فيها المحاور على الرد المسكت في قضية من قضايا اللغة العربية، هي قضية الإبدال بين الصوامت،" ومن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، وهو كثير مشهور، قد أَلَّف فيه العلماء" [3]، إلا أن هذا الإبدال ليس على إطلاقه ، بل له شروط وقيود أبان عنها اللغويون قدامى ومحدثون في دراساتهم، ، والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال الصاد من السين: أن

---

[1] البيت من الكامل للأعشى في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (١/١١٦) وطيب المذاق من ثمرات الأوراق (ص١٠٨).

[2] درة الغواص في أوهام الخواص (ص٢١، ٢٢) وينظر: نزهة الألباء في طبقـــات الأدباء (ص٧٥) وفرائد المعاني لابن آجروم (٢/٣٥٩).

[3] درة الغواص في أوهام الخواص (ص٢١، ٢٢) وينظر: نزهة الألباء في طبقـــات الأدباء (ص٧٥) وفرائد المعاني لابن آجروم (٢/٣٥٩).

كل كلمة فيها سين، وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة – وهي الطاء والخاء والغين والقاف – فيجوز إبدال السين بالصاد، فنقول في﴿السراط﴾ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ [1] [الفاتحة:٦] ، وفي قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[البقرة:٢٣٨]:" رُوِيَ عَنْ قالون أنه قرأ: ﴿ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾، بِالصَّادِ أُبْدِلَتِ السِّينُ صَادًا لِمُجَاوَرَةِ الطَّاءِ" [2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠] قرأ ابنُ عباس ويحيى بن عمارة (وأَصْبَغَ) بإبدال السينِ صاداً [3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:١٠] " الْجُمْهُورُ: ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ بِالسِّينِ، وَرَوَى قُطْبَةُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَرَأَ:(بَاصِقَاتٍ) بِالصَّادِ[4]، قال أبو حيان(ت٧٤٥ هـ):" وَهِيَ لُغَةٌ لِبَنِي الْعَنْبَرِ[5] ، يُبْدِلُونَ مِنَ السِّينِ صَادًا إِذَا

---

[1] وقد قرئ في المتواتر بها، فقرأ بالسين قنبل عن ابن كثير من طريق ابن مجاهد ورويس عن يعقوب، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد بإشمام الصاد زايا، وباقي العشرة بالصاد الخالصة(تقريب النشر في القراءات العشر ٢١٥/١).

[2] البحر المحيط(٥٤٧/٢).

[3] الدر المصون(٦٧/٩).

[4] ينظر: شواذ القرآن ٧٥٧/٢، والمغني في القراءات ١٧٠٥/٤. .

[5] أي بَنِي العَنْبَرِ "والعَنْبَرُ: أَبو حَيٍّ من تَمِيمٍ، هُوَ العَنْبَرُ بن عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، وَيُقَال فيهم: بَلْعَنْبَرِ، حَذَفوا مِنْهُ النُّونَ تَخْفِيفاً كبَلْحَارِثِ فِي، بَنِي الحارِث، وَهُوَ كثيرٌ فِي كَلامهم" (تاج العروس: ع ن ب ر) وقال الزبيدي: " بَلْحَارِث، لبني الحَارِثِ ابنِ كَعْبٍ، من شَوَاذِّ التَّخْفِيفِ؛ لأَنّ النُّونَ واللاّمَ قَرِيبَا المَخْرَجِ، فلمّا لم يُمْكِنْهُم الإِدْغَامُ، لسكون اللاّم، حَذَفُوا النُّونَ، ... وكذلك يَفْعَلُونَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ تَظْهَرُ فِيهَا لامُ المَعْرِفَةِ ==

وَلِيَتْهَا، أَوْ فُصِلَ بِحَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ، خَاءٌ أَوْ غيْنٌ أَوْ قَافٌ أَوْ طَاءٌ" [١]، والعلة من البدل راجعة إلى ثلاثة أسباب هي: طلب الخفة، وكثرة الاستخدام، ومناسبة الأصوات بعضها البعض، "ولا يبالي إذا كانت الحروف الأربعة أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة، بعد أن تكون بعدها، يقولون: سراط وصراط، وبسطة وبصطة، ...، ومسغبة مصغبة، ومسدغة ومصدغة، وسخر لكم، وصخر لكم، والسخب والصخب" [٢].

وقال ابن جني(ت٣٩٢ هـ):" وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء، جاز قلبها صادا..."[٣]، وفي لسان العرب:" وَالسِّينُ وَالصَّادُ يَتَعَاقَبَانِ مَعَ الْخَاءِ وَالْغَيْنِ وَالْقَافِ وَالطَّاءِ" [٤]، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ يَكْثُرُ فِي الصَّادِ وَبَعْضُهَا يَكْثُرُ فِي السِّينِ[٥].

قال أبو محمد البَطَلْيَوْسِي (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) في كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة: مِنْ هذا الباب ما يَنْقاس ومنه ما هو موقوفٌ على السِّماع: كلُّ سينٍ وقعت بعدها غين أو خاء: أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا مثل: يُساقون ويصاقون وصَقْر وسَقْر وصَخْر وسَخْر مصدر سخرت منه إذا هزأت فأما الحجارة فبالصَّاد لا غير، قال: وشرطُ هذا

==

مثل: بَلْعَنْبَرِ وبَلْهُجَيْمِ، فأَمْا إذا لم تَظْهَرِ اللّام، فَلَا يكونُ ذلك (تـــاج العـــروس: ح ر ث).

[١] البحر المحيط(٥٣١/٩).

[٢] وفيات الأعيان (٤٠٢/٥).

[٣] سر صناعة الإعراب(٢٢٣/١).

[٤] لسان العرب (ص د غ).

[٥] السابق (س ف ق).

الباب: أن تكون السينُ متقدَّمةً على هذه الحروف لا متأخرة بعدها، وأن تكونَ هذه الحروفُ مُقارِبةً لها لا متباعدة عنها، وأن تكون السين هي الأصل ، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يجز قلبها سينا؛ لأن الأضْعفَ يُقْلَب إلى الأقوى ولا يُقْلَب الأقوى إلى الأضْعَف، وإنما قلبوها صادا مع هذه الحروف؛ لأنها حروف مستعلية والسين حرف متسفل فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل لما فيه من الكُلْفة، فإذا تقدم حرفُ الاستعلاء لم يُكْرَه وقوعُ السين بعدَه لأنه كالانْحِدار من العلو وذلك خفيفٌ لا كُلْفةَ فيه، قال: فهذا هو الذي يجوز القياسُ عليه وما عداه موقوفٌ على السِّماع[1].

وقال الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩ هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي(ت٦٨٥ هـ):" إبدال السين صادا إذا اجتمعت مع أحد الحروف المستعلية المذكورة سواء فصل بينهما أو لم يفصل، وكلامه يشمل التقدّم والتأخر، وقد اشترط بعضهم تقدّم السين فتبدل للتجانس" [2]، وذكر الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ) أنهُمَا يَتَبَادَلانِ فِي كثيرٍ من الكَلام[3].

ويبدو أن الإمام صالح بن محمد الملقب بجَزَرَةَ ـ(٢٠٥ ـ ٢٩٣ هـ) استعمل هذه الطريقة في الإقناع مرة أخرى، يقول" بَكْرُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيّ، سَمِعْتُ أَبَا عليٍّ صَالِحَ بنَ مُحَمَّدٍ(٢٠٥ ـ ٢٩٣ هـ)، قَالَ: دَخَلْتُ مِصْرَ فَإِذَا حَلَقَةٌ ضَخْمَةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: صَاحِبُ نَحْوٍ، فَقَرُبْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ بصَادٍ، جَازَ بِالسِّينِ. فَدَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَقُلْتُ:

---

[1] المزهر في علوم اللغة وعلومها (٣٦٢/١).

[2] عناية القاضي وكفاية الراضي(١٣٨/٧).

[3] تاج العروس (ق ص ر).

صَلاَمٌ عَلَيْكُمْ يَا أَبَا سَالِح، سَلَّيْتُم بَعْد؟ فَقَالَ لِي: يَا رَقِيْع! أَيُّ كَلاَمٍ هَذَا؟ قُلْتُ: هَذَا مِنْ قَوْلِكَ الآنَ. قَالَ: أَظُنُّكَ مِنْ عَيَّارِي[1] بَغْدَادَ. قُلْتُ: هُوَ مَا تَرَى" [2].

محاورة النضر بن شميل، فقد غلط بعض العلماء النضر بن شميل في التركيب اللغوي وليس في قضية الإبدال فـ "الْمِيمُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الشَّيْءِ [3]، وفي العين:" يقال للمريض: مَسَحَ اللهُ ما بكَ، ومَصَحَ أجودُ" [4]، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ أَيضاً: مَصَحْتُ بِالشَّيْءِ ذَهَبْتَ بِهِ[5]؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ (٤٩٩ – ٥٨٢ هـ): هَذَا يَدُلُّ عَلَى غَلَطِ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ فِي قَوْلِهِ مَصَحَ اللَّهُ مَا بِكَ، بِالصَّادِّ، وَوَجْهُ غَلَطِهِ أَن مَصَح بِمَعْنَى ذَهَبَ لَا يَتَعَدَّى إلا بِالْبَاءِ أَو بِالْهَمْزَةِ، فَيُقَالُ: مَصَحْتُ بِهِ أَو أَمْصَحْتُه بِمَعْنَى أَذهبته، قَالَ: وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الهَرَوِيُّ (٠٠٠ – ٤٠١ هـ) فِي الْغَرِيبَيْنِ، قَالَ يُقَالُ: مَسَحَ اللَّهُ مَا بِكَ، بِالسِّينِ، أَي غَسَلَكَ وَطَهَّرَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَوْ كَانَ بِالصَّادِّ لقالَ: مَصَح اللَّهُ بِمَا بِكَ أَو أَمْصَحَ اللَّهُ مَا بِكَ[6].

---

[1] العَيّارُ، كشَدَّادٍ، الرَّجُلُ الكَثِيرُ المجيء والذَّهاب فِي الأَرْض، وقِيلَ: هُوَ الذَّكِيّ الكَثِيرُ التَّطْوافِ والحَرَكَة، ... .وَقَالَ ابنُ الأَعْرَابِيّ: والعَرَبُ تَمْدَحُ بالعَيّارِ وتَذُمُّ بِهِ، يُقَال: غُلاَمٌ عَيّارٌ: نَشِيطٌ فِي المَعَاصِي وغُلامٌ عَيّارٌ: نَشِيطٌ فِي طَاعَةِ اللهِ ورُبمَا سُمِّيَ الأَسَدُ بالعَيّارِ لِتَرَدُّدِه ومَجِيئِه وذَهابِه فِي طَلَب الصَّيْد.... والعَيّارُ: عَلَمٌ من أَعْلامِ الأَناسِيّ.(تاج العروس: ع ي ر).

[2] سير أعلام النبلاء (٣١/١٤).

[3] مقاييس اللغة (م ص ح) (٣٢٨/٥).

[4] العين (١٥٦/٣).

[5] تاج العروس(م ص ح)(٤٠٥/١).

[6] لسان العرب (م ص ح).

ويبدو أن قضية إبدال السين صادا قد شغلت العلمـــاء قـــديما فوجـــدنا مصنفا فيها يحمل عنوان : "السنن والاقتصاد في الفرق بين السين والصاد: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعود الأنصـــاري الـــداني (كـــان حيـــا ٤٧٠هـــ) [١].

إلا أنه يجب علينا قبل أن نترك هذه القضية أن نشير إلى أن ما صنعه العلامة جَزَرة من قوله: هل يجوز أن نقرأن: نحن نقس...إلخ" لا يجوز فإن قراءة القرآن لا تكون بالرأي والاجتهاد وصحة الكلام في العربية وإنما" الْقِرَاءَة سنة يَأْخُذهَا الآخر عَن الأول كما أصّل لنا القدامى" [٢].

هذه المحاورات اللغوية أكدت وأقرت ما ذهب إليه جمهور اللغويين من أن تعاقب السين والصاد ليس على إطلاقه، وإنما هو مقيد بأصوات معينة ذكرها لنا العلماء.

---

[١] معجم المؤلفين (٨/٢٦٣).

[٢] السبعة في القراءات(ص٥٠).

المستوى الصرفي

أ ــ دخلت امرأة على هارون الرشيد (١٤٩ – ١٩٣ هـ) وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين: أَقرَّ الله عينَكَ، وفرَّحَكَ بما آتاكَ، وأتمَّ سعدَك، لقد حَكمتَ فقسطتَ، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا: ما نراها قالت إلا خيرا.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها أقر الله عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: وفرّحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام:٤٤]، وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذَا تَـمَّ أَمْـرٌ بَـدَا نَقصُـهُ تَوقَّعْ زَوالاً، إذا قِيلَ: تَـمْ [١]

وأما قولها: لقد حكمتَ فقسطتَ، فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن:١٥] ، فتعجبوا من ذلك[٢].

---

[١] البيت من المتقارب دون نسبة في اللباب في علوم الكتاب ٥٤٧/٢٠ وتاريخ الإسلام ٦٧٠/١٤ وسير أعلام النبلاء ١٨٢/٢٣

[٢] المستطرف في كل فن مستظرف ص٥٣ وثمرات الأوراق في المحاضرات ٢٢٧/٢ وتزيين الأسواق في أخبار العشاق ٢٦٢/٢.

ب ــ قَالَ الْحَجَّاج (٤٠ – ٩٥ هــ) لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (٤٥ – ٩٥ هــ) حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ: مَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: قَاسِطٌ عَادِلٌ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ! حَسِبُوا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِالْقِسْطِ ــ بِكَسْرِ الْقَافِ ــ وَالْعَدْلِ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يَا جَهَلَةُ إِنَّهُ سَمَّانِي ظَالِمًا مُشْرِكًا، وَتَلَا لَهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥] [١]،وَذَلِكَ قَرِينَةٌ على أَن المراد بــ (عَادِلٌ) أَنَّهُ عَادِلٌ عَنِ الْحَقِّ.

ج ــ قال أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي: دخلت مجلس القاضي أبي الفضل عياض(ت٥٤٤ هــ) ــ ¬ تعالى ــ إذ كان قاضيا عندنا بغرناطة وبه جماعة من الطلبة الأعيان يسمعون تأليفه المسمى بالشفا، فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات: « وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ»[٢] قرأه ثلاثيا [٣]، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها، فقلت للقاضي ــ وصل الله توفيقه ــ: هذا لا يجوز في هذا الموضع. فقال: ما تقول؟ فقلت: إنما هو أقسط؛ لأن المراد في هذا الموضع: عَدَلَ، فالفعل منه رباعي كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وأما قَسَط فإنما هو جار كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]، فتعجب وقال لمن حضر: إنَّ هذا الكتاب قد قرأه عليّ من

---

[١] التحرير والتنوير ٢٣٧/٢٩.

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٧٦/١ بلفظ: « وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ»، والضمير عائد على القرآن الكريم، وقسم: بفتح القاف والسين المخففة أي من تولى قسيمة أمر فقسمها بما في كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل.

[٣] أي قرأه:« وَمَنْ قَسَمَ بِهِ قَسَطَ».

العالم ما لا يُحصى كثرة، ولا أقف على منتهى أعدادهم، وما تنبه لهذه اللفظة. وفاه بلسان الإنصاف، وشكر بفضله...[١].

وبذلك يتضح أن الذكاء اللغوي يقتضي النظر الثاقب، والتمحيص الدقيق الذي يتحسس النص بتوظيف كل الحواس والمعارف والإجراءات والأدوات لاختراق الظاهر، ببصيرة حادة وحذاقة لافتة تسمع لنبضات العبارات ونبراتها، بغية القبض على الجوهر المكنون البعيد الغور في النصوص التي تستر حقائقها[٢].

ويظهر أن الذكاء اللغوي هنا ليس مبنيا على استعمال الدلالة الصرفية فحسب بل يعد السياق الخارجي قرينة دالة عيه، وذلك أن "القِسْط، بالكَسْرِ: العَدْلُ، قَالَ الله تعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الأعراف:٢٩]، وَهُوَ كقَوْلِهِ تَعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠] وَهُوَ من المَصَادِرِ المَوْصُوفِ بهَا كالعَدْلِ،... . يُقال: قَسَطَ فِي حُكْمِهِ، وأَقْسَطَ، أَي عَدَلَ، فَهُوَ مُقْسِطٌ، وَفِي أَسْمَائِه تَعَالَى الحُسْنَى: المُقْسِطُ: هُوَ العادِلُ [٣]، وَالْمَشْهُورُ فِي قَسَطَ أَنَّهُ بِمَعْنَى جَارَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَيُقَالُ قَسَطَ بِمَعْنَى أَقْسَطَ أَيْ عَدَلَ [٤].

وعلى هذا فالاستعمال اللغوي في المواقف الثلاثة السالفة يجيز المدح لا الذم، إلا أن يكون الكلام على المعول عليه من كلام اللغويين، يُقَالُ: أَقْسَطَ فُلَانٌ فِي الْحُكْمِ يُقْسِطُ إِقْسَاطًا إِذَا عَدَلَ فَهُوَ مُقْسِطٌ، وَيُقَالُ: قسط فهُوَ

---

[١]أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١٣/٣.

[٢] مكر اللغة ودهاؤها: ص٦٥.

[٣] تاج العروس(ق س ط).

[٤]البحر المحيط (٥٠٤/٣).

قَاسِطٌ إِذَا جَارَ[١]،وَيُحْتَمَلَ أَنَّ الْأَلِفَ أُدْخِلَ فِيهِ لِسَلْبِ الْمَعْنَى ؛ كَمَا أُدْخِلَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَيَكُونُ الْإِقْسَاطُ إِزَالَةَ الْقُسُوطِ[٢]، وَأَصْلُ قَسَطَ وَأَقْسَطَ جَمِيعًا مِنَ الْقِسْطِ وَهُوَ النَّصِيبُ، فَإِذَا قَالُوا: قَسَطَ بِمَعْنَى جَارَ أَرَادُوا أَنَّهُ ظَلَمَ صَاحِبَهُ فِي قِسْطِهِ الَّذِي يُصِيبُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَالُوا: قَاسَطْتُهُ إِذَا غَلَبْتَهُ عَلَى قِسْطِهِ، فَبُنِيَ قَسَطَ عَلَى بِنَاءِ ظَلَمَ وَجَارَ وَغَلَبَ، وَإِذَا قَالُوا أَقْسَطَ فَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَارَ ذَا قِسْطٍ عَدْلٍ، فَبُنِيَ عَلَى بِنَاءِ أَنْصَفَ إِذَا أَتَى بِالنِّصْفِ وَالْعَدْلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَقَسْمِهِ[٣]، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الرحمن: ٩] أَيْ: بِالْعَدْلِ، فَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ لِأَقْسَطَ لَا مَصْدَرٌ لِقَسَطَ لِتَضَادِّ مَعْنَيْهِمَا[٤].

وهذا الملمح الدلالي لتنوع الصيغة الصرفية جعل ابن فارس(ت٣٩٥هـ):" وأما التصريف فإنَّ من فاته علمه فاته المُعظَم ... وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]وقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل إلى الجَوْر "[٥]، فالقِسْطُ بِكَسْر الْقَاف: الْعدْل وَالْفِعْل مِنْهُ أقسط بِالْألف، قَالَ: والقَسْطُ بِفَتْح الْقَاف: الجورُ، يُقَال مِنْهُ قسطَ يقسِطُ قَسْطاً وقسوطاً[٦]، وهذا الذي ذكره جمهور اللغويين أقرته لغة القرآن الكريم في جميع سياقاته

---

[١]معاني القرآن وإعرابه (٣٨٨/١) ومفاتيح الغيب (٩٧/٧) والجامع لأحكام القرآن (١٢/٥).

[٢] مرقاة المفاتيح(١٥٨٥/٦).

[٣] مفاتيح الغيب (٤٨٥/٩) .

[٤] مرقاة المفاتيح(١٥٨٥/٤).

[٥] الصاحبي في فقه اللغة(ص١٤٣).

[٦] تهذيب اللغة(ق س ط)(٢٩٨/٨) وإسفار الفصيح (٤٣٧/١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[النساء:٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[المائدة:٤٢] وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩] وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن:١٥]

وتكلم به النبي- ﷺ- فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا "[1]، وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى بَابِ بَيْتٍ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: وَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ: " هَلْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا قُرَشِيٌّ؟ " قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَيْرُ فُلَانِ ابْنِ أُخْتِنَا. فَقَالَ: " ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ ". قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ"[2].

إن اختيار الألفاظ والبنى اللغوية في المواقف السالفة يؤكد لنا اهتمام علماء اللغة وعلماء النفس اللغوي بالعمليات التي يقوم بها كل فرد من أطراف عملية الاتصال في هذه العملية، حينما يختار كل فرد بناء أو

---

[1] مسند أحمد (٦٤٨٥/٢٤/١١) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] مسند أحمد (١٩٥٤١/٣١١/٣٢) وقال المحقق: حديث صحيح لغيره .

تركيبا نحويا ليعبر به عن فكرة ومعنى، أو يفسر كلام الآخرين ليصل إلى الدلالات الضمنية للتركيب أو البنايات النحوية، فاللغة كنظام من الرموز، وسلوك اتصالي، تنطوي على معان موضوعية إشارية صريحة، وأخرى وجدانية، والاتصال السليم القائم على الفهم المتبادل بين الأشخاص والجماعات يستلزم الوعي بالمعاني المختلفة الكامنة وراء الكلمات والعبارات، وتوظيف الكلمة في خدمة السلوك الاتصالي[1].

ولعل هذه المواقف اللغوية ترجح ما ذهب إليه جمهور اللغويين في استعمال أقسط في العدل ، وقسط في الجور ترد ما ذهب إليه الزجاج من القول بالترادف في الصيغة.

وكان أبو عبد الله محمد بن العزيز بن يحيى(ت٣٧٢ هـ) له جار من النصارى من وجوه الخدمة، يقضي حوائجه، ومتى مرّ بدار الشيخ وقف به، فيهشّ إليه الشيخ ويدعو له، بأن يقول له: أبقاك الله وتولاك، أقر الله عينك، يسرّني ما يسرك، جعل الله يومي قبل يومك، لا يزيد على هؤلاء الكلمات، والنصراني يبتهج بذلك، فعوتب الشيخ في ذلك، فقال: إنما هي معاريض، عرف الله نيتي فيها، فأما قولي أبقاك الله وتولاك، فأريد بقاءه لغرم الجزية، وأن يتولاه بعذابه، وقولي أقر الله عينك، فإني أريد قرار حركتها بشر يعرض لها، فلا تحرك جفونها، وقولي يسرني ما يسرك،

---

[1] أسس الاتصال الفعّال عند الجاحظ (مقاربة في ضوء معطيات علم الاتصال الحديث) : ص٢٥.

فالعافية تسرني وتسره. وأما جعل الله يومي قبل يومك، فيوم دخولي الجنة قبل دخولك النار [1].

وإن كنا نمدح له الذكاء اللغوي في هذا الموقف إلا أننا لا نقر ما فعله من حيث الشريعة، فالقرآن ربى المسلمين على قوله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [سورة الممتحنة:٨]، وإن كانت المواقف السابقةقد فهم طرفان من أطراف المحاورة دلالة اللفظ وغابت الدلالة المرادة عن الطرف الثالث وهم الحضور، فإن الطرف الثاني في حوار ابن يحيى (ت: ٣٧٢ هـ) لم يفهم الدلالة المرادة منه، والقصد هنا غاية المتكلم باعتباره المرجعية، وليس ما يفهمه المتلقي، قال ابن رشد الفقيه: " إن دلالات الألفاظ إنما تحمل على ما يعلم من قصد المتكلم بها"[2].

وتنقسم القصدية إلى قصدية عقلية: تمثل توجه العقل نحو العالم، وقصدية لغوية: تمثل نية الإنسان التي قصدها من الملفوظ، والقصدية اللغوية جزء من القصدية العقلية، فهي الصورة المعلنة للقصدية العقلية"[3].

وبالنظر في المعاجم اللغوية نجدها لا تعطي الدلالات الواردة في المواقف السابقة، يقال: "وأقر الله عينَه، أي أعطاه حتَّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى من هو فوقه، ويقال: حتَّى تبرد ولا تسخن، فللسرور دمعةٌ باردة، وللحزن

---

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣٠٤/٦).

(٢) المقدمات الممهدات ٤٣٠/٢

(٣) القصدية في الدرس اللغوي ص: ٦٢

دمعة حارَّة[١]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرَّت عينُه مأْخوذ مِنَ القَرُور، وَهُوَ الدَّمْعُ الْبَارِدُ يَخْرُجُ مَعَ الْفَرَحِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ القَرارِ، وَهُوَ الهُدُوءُ، وَقَالَ الأَصمعي: أَبرد اللهُ دَمْعَتَه لأَن دَمْعَة السُّرُورِ بَارِدَةٌ. وأَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ: مُشْتَقٌّ مِنَ القَرُور، وَهُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ، وَقِيلَ: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ أَي صَادَفْتَ مَا يُرْضِيكَ فَتَقَرُّ عَيْنُكَ مِنَ النَّظَرِ إِلى غَيْرِهِ[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِعَمِّهِ: " قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦] [٣].

قال النووي(ت٦٧٦ هـ):" وَأَمَّا قَوْلُهُ "لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ" فَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِيهِ مَا قَالَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ(ت٢٩١ هـ) قَالَ: مَعْنَى أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ أَيْ بَلَّغَهُ اللَّهُ أُمْنِيَّتَهُ حَتَّى تَرْضَى نَفْسُهُ وَتَقَرَّ عَيْنُهُ فَلَا تَسْتَشْرِفَ لِشَيْءٍ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ(ت٢١٦ هـ) مَعْنَاهُ: أَبْرَدَ اللَّهُ دَمْعَتَهُ؛ لِأَنَّ دَمْعَةَ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَرَاهُ اللَّهُ مَا يَسُرُّهُ" [٤].

وفَرِحَ الرّجلُ كعَلِمَ فَهُوَ فَرِحٌ ، ككَتِف، وفَرُحٌ، بضمّ الراءِ ... وقد أَفْرَحَهُ أَفراحاً وفَرَّحه تَفريحاً. .. وأَفرحَه الشَّيْءُ والدَّينُ أَثقله، والهمزة للسَّلب [٥].

---

[١]الصحاح (ق ر ر).

[٢]لسان العرب (ق ر ر).

[٣]صحيح مسلم (٢٥/٥٥/١).

[٤]شرح النووي على مسلم(٢١٧/١).

[٥]تاج العروس (ف ر ح).

المستوى النحوي

ومن أمثلة الذكاء اللغوي على المستوى النحوي:

أ ــ أُحْضِرَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٢٦ –٨٦ هـ) رَجُلٌ يَرَى رأيَ الخوارج وهو عِتْبَانُ الْحَرُورِيُّ...، وقد عمل قصيدة، فقال له: ألست القائل يا عدوّ الله:

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَابْنُـــهُ وَعَمْرُو وَمِنْكُمْ هَاشِـــمٌ وَحَبِيـــبُ
فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَالْبَطِـــينُ وَقَعْنَـــب وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَـــبِيبُ [١]

فقال: لم أقل كذا يا أمير المؤمنين، وإنما قلت:

..... ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ [٢]

فاستحسن قوله، وأمر بتخلية سبيله [٣] ، وهذا الجواب في نهاية الحسن، فإنه إذا كان (أمير) مرفوعًا كان مبتدأ فيكون (شبيب) أمير المؤمنين، وإذا

---

[١] البيتان من الطويل في معجم الشعراء للمرزباني ١٠٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٦، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٠٥، وشعر الخوارج ٦٣.

[٢] في مفاتيح الغيب ٤١٣/٢: "فَقَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ: وَمِنَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَـبِيبُ، بِنَصْـبِ الرَّاءِ، فَنَادَيْتُكَ وَاسْتَغَثْتُ بِكَ، فَسُرِّيَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَتَخَلَّصَ الرَّجُـلُ مِـنَ الْهَلَـاكِ بِصَنْعَةٍ يَسِيرَةٍ عَمِلَهَا بِعِلْمِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ حَوَّلَ الضَّمَّةَ فَتْحَةً"، وقال الصفدي في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص٥٨: "فخلص من الموت بتغيير حركة".

[٣] وفيات الأعيان لابن خلكان٤٥٦/٢ ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لليافعي ص١٢١٦ وسمط النجوم العوالي في أنبـاء الأوائـل والتوالي: للعصامي ٢٧٣/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠/٩، ومعجم الشـعراء للمرزباني ص١٤٣.

كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ومعناه يا أمير المؤمنين منا شبيب، فلا يكون (شبيب) أمير المؤمنين، بل يكون منهم [١].

وقد أكثر اللغويون من الثناء على هذا الصنيع، ونوهوا بحسنه وروعته:

❖قال ابن قتيبة (٢١٣ -٢٧٦ هـ): أما ترى تيقظه ونقله الكلام بالإعراب عن سبيل هلكته إلى سبيل نجاته؟ وهل يجوز لذي تمييزٍ ولب أن يقول إن هذا لا يعرف المعنى الذي فرق بين الإعرابين؟ [٢].

❖وقال ابن السمعاني (: ٥٦٢ هـ):" فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين ، ما قلت كذلك، وإنما صحف عليّ، وإنما قلت: ومنا أمير المؤمنين شبيب، منصوب الراء، وإنما عنيتك يا أمير المؤمنين، وهو نداء أردت: ومنا يا أميرَ المؤمنين شبيب. فخلي سبيله بحسن اعتذاره، وتخلصه بحرف واحد من النحو" [٣].

❖وعدّ نشوان الحمير ي(ت٥٧٣ هـ) هذا الصنيع من فضائل المعرفة باللغة العربية، فقال:" فخلّى سبيله وخلص نفسه بحركة حرف، وهذا من فضائل العلم والمعرفة باللغة العربية" [٤].

❖وقال ابن الجوزي(ت٥٩٧ هـ):" فحقن دَمه وَدَرَأَ عَن نَفسه؛ إِذْ صرف الْإِعْرَاب عَن الْخَبَر إِلَى الْخطاب" [٥].

---

[١] وفيات الأعيان لابن خلكان٢/٤٥٦.

[٢] البصائر والذخائر(٦/٦٦).

[٣] المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص٩٦١).

[٤]شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ق ع ن ب)(٨/٥٥٧٠).

[٥] الأذكياء (ص١٥٣).

❖وقال برهان الدين الكتبي(٦٣٢ ــ ٧١٨ هـ):" فانظر إلى حذق هذا الرجل، سكن جأشاً بحركة، أمد عمره من أجلها بالبركة، وذلك بفتح الراء من كلمة وجعل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف منصوب أبداً" [١].

ب ــ ومثله: أراد رجل الوصول إلى المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ) في ظلامة فلم يصل إليه، فقال على الباب: أنا أحمدُ النبيُّ المبعوثُ، فكتب بذلك صاحب الخبر يذكر أن رجلاً، تنبّأ فأدخل على المأمون، فقال له: ما تقول ؟ فذكر ظلامته. فقال له ما تقول فيما حكي عنك؟ قال وما هو؟ قال ذكروا أنك تقول: إنك نبيّ، قال معاذ الله، إنما قلت: أنا أحمدُ النبيَّ المبعوثَ، أفلست يا أمير المؤمنين ممن يحمده؟! قال نعم، واستظرفه ونظر في أمره[٢].

لقد تخلص من هذه التهمة التي كادت تؤذن بنهاية أجله من خلال تغير حركة الإعراب من الضمة التي تعطي دلالة الاعتراف بادعاء النبوة، إلى الفتحة التي تعطي دلالة بصلاح هذا الرجل وأنه يحمد ويشكر النبي محمدا –صلى الله عليه وسلم–.

---

[١] غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة (ص١١٤).

[٢] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي(٢٤٠/١) والحكاية بتصرف آخر في: الأجوبة المسكتة(ص١٠٩) ونثر الدر في المحاضرات(١٥٦/٢) وربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري(٣٥٢/٤) والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي(٦١/٦) وغرر الخصائص الواضحة(ص١١٥).

ج ــ ووقف أبو أمية ابن حمدون بباب الأستاذ الشَّلَوْبِيْن (٥٦٢ – ٦٤٥هـ) [١]، فكتب في ورقة « أبو أميةَ بالباب »، ودفع الورقة لخادم الأستاذ، فلما نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية، ولم يزد على ذلك، وأمر الخادم بدفع الورقة إليه، فلما نظر فيها أبو أمية انصرف، علماً منه أن الأستاذ صرفه.

قال التلمساني (ت: ١٠٤١ هـ): فانظر إلى فطنة الشيخ والتلميذ... [٢].

د ــ وحكي أنّ المأمون(١٧٠ – ٢١٨ هـ) قال ليحيى بن أكثم (١٥٩ – ٢٤٢ هـ): هل تغدّيت؟ قال: لا وأيّد الله أمير المؤمنين. فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها! وكان الصاحب (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ) يقول: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ[٣].

---

[١] الأُسْتَاذ، العَلاَّمَة، إِمَام النَّحْو، أَبُو عَلِيٍّ عُمَر بن مُحَمَّدِ بن عُمَرَ الأَزْدِيّ، الإِشْبِيْلِيّ، الأَنْدَلُسِيّ، النَّحْوِيّ، المُلَقَّب بِالشَّلَوْبِيْنِ ... وَالشَّلَوْبِيْنُ فِي لُغَة الأَنْدَلُسِيّين: هُوَ الأَبيض الأَشْقَر، مَوْلِدُهُ: فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، بِإِشْبِيْلِيَة.. وَلَهُ تَصَانِيْفُ مُفِيْدَةٌ..، وَلَهُ عَلَى (الجزولية) شرحَان، عَاشَ: ثَلاَثاً وَثَمَانِيْنَ سَنَةً، تُوُفِّيَ: فِي صَفَرٍ، سَنَة خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَسِتِّ مائَةٍ. (سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٢٣)، وفي روض المناظر لابن الشحنة – حوادث سنة ٦٤٥ – : " إنما هو نسبة إلى حصن يقال له الشلوبين"، وفي التاج ٩: ٢٥٥ " الشلوبيني " ضبطه غير واحد بفتح اللام، ومنهم من ضبطه بضمها.

[٢] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٩/٤.

[٣] التذكرة الحمدونية ٢٩٤/٨.

قال الثعالبي(ت٤٢٩ هـ):" العرب تقيم حشْو الكلام مقام الصلة والزِّيادة وتُجريه في نظام الكلمة وهو على ثلاثة أضْرُب: ضَرب منها رديء مذموم كقول الشاعر:

ذَكَـــرْتُ أخِـــى فَعَـــاوَدَنِى صُدَاعُ الرأْس والْوَصَـــبُ [١]

فَذَكَر الرَّأس وهو حشو مُسْتَغنى عنه؛ لأن الصُّداع مُخْتَصٌ بالرَّأس فلا معنى لذكره معه....وأما الضرب الأوسط ... فكقول النَّابغة:

لَعَمْري ومَا عَمْري علىَّ بهَـــيِّن لَقَدْ نطقَتْ بُطْلًا علىَّ الأقَـــارعُ [٢]

فقوله: وما عمري عليَّ بِهَيِّنٍ حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد.

وأما الضَّرب الثالث فهو الحشو الحسن اللطيف كقول ... يحيى بن أكثم السابق ...[٣].

وقد عدّ أبو يعقوب السكاكي (ت: ٦٢٦ هـ) هذا الاستعمال اللغوي من قبيل الذكاء ووصف تاركه بالغباء، فقال:" وهل خلع هارون على كاتبه إذ سأله عن شيء فقال: لا، وأيد الله أمير المؤمنين، إلا لأنه لم يسمع ما عليه الأغبياء فيما بينهم من: لا أيدك الله، بترك الواو" [٤].

---

[١] البيت من الوافر لأبي العيال الهذلي في أشعار الهذليين(٢: ٢٤٢)، ولعمـــدة لابـــن رشيق(٧٢/٢).

[٢] من الطويل للنابغة في ديوانه (ص ١٢٤).

[٣] فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ص٢٧٧).

[٤] مفتاح العلوم (ص٣٢٤).

المستوى المعجمي

للذكاء اللغوي على المستوى المعجمي في تراثنا العربي مظاهر عديدة وأمثلة متنوعة، منها:

أ ــ الدلالة الوضعية(اللفظية)، فقد " ذَكَرَ أَعرابي رَجُلًا، فَقَالَ: مَا لَهُ لَمَجَ أُمَّه؟ فَرَفَعُوهُ إِلى السُّلْطَانِ، فَقَالَ: إِنما قُلْتُ: مَلَجَ أُمه، فخَلَّى سبيلَه" [١]، وتروى هذه الحكاية بطريقة أخرى، " قَالَ ابْنُ الأَعرابي (١٥٠-٢٣١هـ): اخْتَصَمَ شَيْخانِ غَنَوِيٌّ وباهِلِيٌّ، فَقَالَ أَحدهما لِصَاحِبِهِ: الكاذِبُ مَحَجَ أُمَّه، فَقَالَ الْآخَرُ: انْظُرُوا مَا قَالَ لِي: الْكَاذِبُ مَحَجَ أُمَّه أَي ناكَ[٢] أُمَّه؛ فَقَالَ لَهُ الْغَنَوِيُّ: كَذَبَ مَا قُلْتُ لَهُ هَكَذَا، وَلَكِنِّي قُلْتُ: مَلَجَ أُمَّه أَي رَضَعها" [٣].

والأمر يدور بين ثلاثة ألفاظ (لمج ــ محج ــ ملج) يعطي اللفظ الأول والثاني دلالة مستقبحة، ويعطي اللفظ الثالث دلالة مقبولة في العرف الاجتماعي، فـ" الْمِيمُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ كَلِمَةٌ. يُقَالُ: مَلَجَ الصَّبِيُّ: تَنَاوَلَ الثَّدْيَ لِلرَّضَاعِ بِأَدْنَى فَمِهِ" [٤]، إلا أننا نجد أن بعض المعاجم اللغوية ترادف بين هذه الألفاظ في الدلالة ، فتقول:" مَلَجَ المرأَةَ: نَكَحَها كَلَمَجَها" [٥]، " ولَمَجَ الشَّيْءَ:طَعِمَهُ" [٦]،"ولَمَجَ أُمّه ومَلَجَها إِذا رضَعَها، ولَمَجَ المرأَةَ: نكَحَها"[٧]،

---

[١] لسان العرب (م ل ج).

(٢) أي : وطيء، وهي كلمة مستهجنة في الاستعمال المعاصر.

[٣] لسان العرب (م ح ج).

[٤] مقاييس اللغة (م ل ج) (٣٤٧/٥).

[٥] لسان العرب(م ل ج) .

[٦] مقاييس اللغة(ل م ج) (٢٠٩/٥) .

[٧] لسان العرب(ل م ج)

"ومَحَجَ المرأَةَ يَمْحَجُها مَحْجاً نَكَحَها، وكَذلِكَ مَخَجَها.. قَالَ الأَزهري(ت٣٧٠ هـ): فَمَحَجَ، عِنْدَ ابْنِ الأَعرابي، لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحدهما الجِماعُ، وَالْآخَرُ الكَذِبُ.." [١].

إلا أنه يبدو أن للبيئة اللغوية أثرا في الاقتصار على دلالة دون الأخرى، فلعل ما حكاه ابن الأعرابي يمثل دلالة لغوية في بيئة معينة تستعمل (لمج) في الرضاعة، وتستعمل اللفظين الآخرين في الدلالة على النكاح والجماع، ومن هنا يظهر الذكاء اللغوي في الرجوع إلى كلمة متقاربة لفظا مع هاتين الكلمتين ، تجعل المتكلم لا حرج عليه فيها، بينما اللفظان الآخران يؤديان إلى حد من الحدود الشرعية وهو القذف.

ب ــ الاشتقاق: دخل رجل على الجُبَّائِيّ (٢٣٥ – ٣٠٣ هـ) [٢] فَقَالَ: هَل يجوز أَن يُسمى الله تَعَالَى عَاقِلا؟

فَقَالَ الجُبَّائِيُّ :لَا ؛ لِأَن الْعقل مُشْتَقّ من العقال، وَهُوَ الْمَانِع، وَالْمَنْع في حق الله محَال، فَامْتنعَ الْإِطْلَاق.

قَالَ الشَّيْخ أَبُو الْحسن: فَقلت لَهُ: فعلى قياسك لَا يُسمى الله سُبْحَانَهُ حكيما؛ لِأَن هَذَا الِاسْم مُشْتَقّ من حِكْمَة اللجام وهي الحديدة الْمَانِعَة للدابة عَن الْخُرُوج، وَيشْهد لذَلِك قَول حسان بن ثَابت ــ رضى الله عَنهُ ــ :

---

[١] لسان العرب(م ح ج)

[٢] الجُبَّائِيُّ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ البَصْرِيُّ ، شَيْخُ المُعْتَزِلَةِ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ،... مَاتَ: بِالبَصْرَةِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ.... وَأَخَذَ عَنْهُ فَنَّ الكَلاَمِ أَيْضاً: أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ، ثُمَّ خَالَفَهُ، وَنَابَذَهُ، وَتَسَنَّنَ. وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ – عَلَى بِدعتِه – مُتوسِّعاً فِي العِلْمِ، سَيَّالَ الذِّهنِ، وَهُوَ الَّذِي ذَلَّلَ الكَلاَمَ، وَسهَّلَه، وَيسَّرَ مَا صَعُبَ مِنْهُ (سير أعلام النبلاء١٤/١٨٣).

فَنُحْكِمُ بـــالقَوافى مَـــن هَجانـــا ونَضْربُ حينَ تخْتَلِطُ الدِّماءُ[١]

وَقَول الآخر:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُـــوا سُـــفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضبَا [٢]

أي: نمْنَع بالقوافي من هجانا، وامنعوا سفهاءكم.

فَإِذا كَانَ اللَّفْظ مشتقا من الْمَنْع، وَالْمَنْع على الله محَال لزمك أَن تمنع إِطْلَاق حَكِيم عَلَيْهِ ــ ´ ــ

قَالَ: فَلم يحر جَوَابا، إِلَّا أَنه قَالَ لي: فَلم منعت أَنْت أَن يُسمى الله سُبْحَانَهُ عَاقِلا، وأجزت أَن يُسمى حكيما؟

قَالَ : فَقلت لَهُ: لِأَن طريقي في مَأْخَذ أَسمَاء الله الْإِذْن الشرعي دون الْقيَاس اللغوي، فأطلقت حكيما لِأَن الشَّرْع أطلقهُ ، ومنعت عَاقِلا لَأن الشَّرْع مَنعه، ولَو أطلقهُ الشَّرْع لأطلقته [٣].

---

[١] البيت من الوافر لحسان في ديوانه (ص٩)، وَذَهَبَ الأَخفش إِلـــى أَنـــه أَراد هُنَـــا بالقَوَافِي الأَبيات؛ قَالَ ابْنُ جنِّي: لَا يَمْتَنِعُ عِنْدِي أَن يُقَالَ فِي هَذَا إِنه أَراد الْقَصَائِدَ ... وإِذا جَازَ أَن تُسَمَّى الْقَصِيدَةُ كُلُّهَا قَافِيَةً كَانَتْ تَسْمِيَةُ الْكَلِمَةِ الَّتِي فِيهَا الْقَافِيَـــةُ قَافِيَـــةً أَجْدَرَ، قَالَ: وَعِنْدِي أَن تَسْمِيَةَ الْكَلِمَةِ وَالْبَيْتِ وَالْقَصِيدَةِ قَافِيَة إِنما هِيَ عَلَى إِرادة ذُو الْقَافِيَةِ، وَبِذَلِكَ خَتَم ابْنُ جنِّي رأْيه فِي تَسْمِيَتِهِمُ الْكَلِمَةَ أَو الْبَيْتَ أَو الْقَصِيدَةَ قَافِيَة. قَالَ الأَزهري: الْعَرَبُ تُسَمِّي البيت من الشِّعر قَافِيَة وَرُبَّمَا سَمَّوُا الْقَصِيدَةَ قَافِيَةً. (لســـان العرب: ق ف و)

[٢] البيت من الكامل لجرير في ديوانه (١/ ٤٦٦) وينظر غريب الحديث لأبي عبيـــد القاسم(٤ / ٤٢٧).

[٣] طبقات الشافعية الكبرى (٣٥٧/٣). قلت كَذَا وَقع فِي هَذِه المناظرة فِي إنشاد الْبَيْت حكمُوا بِالْكَاف وَهُوَ الْمَشْهُور فِي روَايَته وَكنت أجوز أَن يكون حلموا بِاللَّامِ لمقابلته بالسفهاء ثمَّ رَأَيْت فِي كتاب الْكَامِل للمبرد ¬ تَعَالَى

==

ج ــ الألغاز اللغوية:

الإلغاز والتعمية صورة من صور الذكاء اللغوي،" وأَلْغَزَ كلامَه، وأَلْغَزَ فِيهِ، إِذا عَمَّى مُرادَه ولَم يُبَيِّنْه وأَضْمَرَه على خِلافِ مَا أَظْهَره. وَقيل: أَوْرَى فِيهِ وعَرَّضَ ليخْفى" [(١)]، وَأما المعمى فَهُوَ قَول يسْتَخْرج مِنْهُ كلمة فَأكْثر بطرِيق الرَّمْز والإيماء بِحَيْثُ يقبله الذَّوْق السَّلِيم، واللغز مثله إِلَّا أَنه يَجِيء على طَرِيقَة السُّؤَال، وَالْفرق بَينه وَبَين المعمى أَن الْكَلَام إِذا دلّ على ذَات شَيْء من الْأَشْيَاء بِذكر صِفَات لَهُ تميزه عَمَّا عداهُ كَانَ ذَلِك لغزاً، وَإِذا دلّ على اسْم خَاص بملاحظة كَونه لفظا بِدلَالَة مرموزه سمى ذَلِك معمى، فَالْكَلَام الدَّال على بعض الْأَسْمَاء يكون معمى من حَيْثُ أَن مَدْلُوله ذَات من الذوات لَا بملاحظة أوصافها ... وَاعْلَم أَن أَرْبَاب المعمى لم يشترطوا فِي اسْتِخْرَاج الْكَلِمَة بطرِيق التعمية حُصُولهَا بحركاتها وسكناتها بل يَكْفِي حُصُول حُرُوف الْكَلِمَة من غير مُلَاحظَة هيئتها الْخَاصَّة، فَإِن وَقع التَّعَرُّض للحركات والسكنات أَيْضا كَانَ ذَلِك من المحسنات ويسمون هَذَا عملا تذييلياً[(٢)]، ويشترط في المعمى أن يكون له نفس المعنى وراء المعنى المقصود بالتعمية، على أنه قد يرد المعمى مرادفا للغز[(٣)].

==

أبنى حنيفَة نهنهوا سفهاءكم ... إني أَخَاف عَلَيْكُم أَن أغضبا

أبنى حنيفَة إنني إِن أهجكم ... أدع الْيَمَامَة لَا توارى أرنبا

(١) تاج العروس (ل غ ز).

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣٩٣/٢).

(٣) فن الألغاز عند العرب: د. محمد سالمان (ص٦٦).

ولقد سمي هذا الاستعمال الأسلوبي باللغز؛ لأنه لا يتوقف عليه بدلالة اللفظ، وإنما بالحرز والحدس والفطنة والذهاب في شعاب خفية من الاستنباط لانحرافه عن نمط الكلام، ويسمى أيضا الأحجية والمعمى لأنه يتضمن معاني خفية دقيقة تحتاج إلى توقد البصيرة وإعمال الفكر لما فيه من الخفاء، وقد أكثر القدماء من هذا النوع في أشعارهم وفي رسائلهم وتوقيعاتهم[١].

وهي أنواع: ألغاز قصدتها العربُ، وألغازٌ قصدَتها أئمة اللغة، وأبيات لم تَقْصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازا، وهي نوعان: فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث مَعانيها، وأكثرُ أبيات المعاني من هذا النوع ... وإنما سموا هذا النوع أبيات المعاني؛ لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وَهْلة، وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب[٢].

ومن الألغاز اللغوية الواردة على النسق الشعري ما قاله الشَّيْخ الإِمَام "بَحْرَق الحضرمي " (٨٦٩ – ٩٣٠ هـ):

يَا متقناً كَلِمَات النَّحْـو أجمعهـا حدًّا ونوعاً وإفـراداً ومنتظمـه
مَا أَربعُ كَلِمَات وَهِـى أحرفهـا أَيْضا وَقد جمعتها كلهَـا كَلِمَـهْ

---

[١] مكر اللغة ودهاؤها: د. عبد الله أيت الأعشير ، مجلة الـوعي الإسـلامي ع٦٤٠ ص٦٧.

[٢] المزهر للسيوطي (٤٥٠/١) .

ثمَّ قَالَ: هَذَا فِي تَمْثِيل الْوَقْف على هَاء السكت، أَي قَوْلك (كَلِمَهْ) فالكاف فِي قَوْلك (كَلِمَهْ) للتمثيل ، وَاللَّام للجر، وَالْمِيم أَصْلهَا (مَا)الاستفهامية حذفت ألفها، والهاء للسكت [1].

ومثال ما ورد على النسق النثري ما ذكرته كتب الأمثال: كَانَ شنٌ رجلا من دهاة الْعَرَب قَالَ: وَالله لأطوفن حَتَّى أجد امْرَأَة مثلى فأتزوجها، فَسَار حَتَّى لقى رجلا يُرِيد قَرْيَة يريدها شنٌ فصحبه، فَلَمَّا انْطَلَقَا قَالَ لَهُ شنٌ: أتحملني أم أحملك؟ فَقَالَ الرجل: يَا جَاهِل، كَيفَ يحمل الرَّاكِب الرَّاكِب؟! فسارا حَتَّى رَأيا زرعا قد استحصد، فَقَالَ شنٌ: أَتَرَى هَذَا الزَّرْع قد أكل أم لَا؟ فَقَالَ: يَا جَاهِل، أما تراهُ قَائما ؟! وسارا فاستقبلتهما جنازةٌ فَقَالَ شنٌ: أَتَرَى صَاحبهَا حَيا أم مَيتا؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْت أَجْهَل مِنْك، أَترَاهُم حملُوا إِلَى الْقُبُور حَيا! ثمَّ صَار بِهِ الرجل إِلَى منزله وَكَانَت لَهُ بنتٌ يُقَال لَهَا طبقَة، فَقص عَلَيْهَا قصَّته، فَقَالَت: أما قَوْله أتحملني أم أحملك؟ فَإِنَّهُ أَرَادَ: أتحدثني أم أحَدثك حَتَّى نقطع طريقنا، وَأما قَوْله: أَتَرَى هَذَا الزَّرْع قد أكل أم لَا ، فَإِنَّهُ أَرَادَ أباعه أَهله فَأَكَلُوا ثمنه أم لَا، وَأما قَوْله فِي الْمَيِّت فَإِنَّمَا أَرَادَ أترك عقباً يحيا بهم ذكره أم لَا، فَخرج الرجل فحادثه ثمَّ أخبرهُ بقول ابْنَته، فَخَطَبَهَا إِلَيْهَا فَزَوجهُ إِيَّاهَا، فحملها إِلَى أَهله فَلَمَّا عرفُوا عقلهَا ودهاءها قَالُوا: وَافق شن طبقَة[2].

وحكى أبو الحسين ابن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ) قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح ابن العميد (٣٣٧ – ٣٦٦ هـ) في يوم شديد الحرّ،

---

[1]النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص١٣٩).

[2]جمهرة الأمثال ٣٣٧/٢.

فرمت الشمس بجمرات الهاجرة، فقال لي: ما قول الشيخ في قلبه؟ فلم أحر جوابا؛ لأني لم أفطن لما أراد، ولما كان بعد هنيهة أقبل رسول الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه، فقمت إليه، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكا إلي وقال: ما قول الشيخ في قلبه؟ فبهتّ وسكت، وما زلت أفكر حتى انتبهت على أنه أراد الخيش، ... [1]، والخَيْشُ: ثِيَابٌ فِي نَسْجِهَا رِقَّةٌ، وخُيُوطُهَا غِلاظٌ، تُتَّخَذُ مِنْ مُشَاقَةِ الكَتّانِ، ومِنْ أَرْدَئِه، أَوْ مِنْ أَغْلَظِ العَصْبِ[2]، ومن سنن العرب القلبُ، وذلك يَكون في الكلمة، ويكون في القِصَّة [3].

د ــ اصطفاء الألفاظ:

دعانا القرآن الكريم إلى النظر في الألفاظ وحسن انتقائها في مخاطباتنا وأحاديثنا، فاللفظ الذي يخاطب به الوالد ليس كاللفظ الذي يخاطب به

---

[1] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (١٨٩٢/٤) ومعجم الأدباء (٢١٦/٣).

[2] تاج العروس (خ ي ش) والعَصْبُ: برودٌ يَمَنِيَّة يُعصَب غَزلُهَا أَي يُجْمَعُ ويُشَدُّ ثُمَّ يُصْبَغُ ويُنسَجُ.

[3] الصاحبي في فقه اللغة(ص ١٥٣). : فأمّا الكلمة فقولهم: "جَذَبَ، وجبَذَ" و"بكل، ولبَكَ" وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة ... وأما الذي في غير الكلمات فمثله في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾[الأنبياء:٣٧]، ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ﴾[القصص:١٢]، ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على مَن يلزَمُه الأمر والنّهي، وإذا كان كذا فالمعنى: وحرَّمنا على المراضع أن يرضِعْنَه، ووجه تحريم إرضاعه عليهن أن لا يقبَل إرضاعهن حتى يُرَد إلى أمّه، قال بعض علمائنا: ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:٧٧] والأصنام لا تعادي أحداً، فكأَنَّهُ قال: فإني عدوٌ لهم، وعداوته لها بغضه إيّاها وبراءته منها

الصاحب، وهكذا، فـ«الطريقة المعهودة في القرآن الكريم أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب، وإضافته إلى الله تعالى أشرف قسمي أفعاله، فمنه قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فقال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ، وقال في الإحسان ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ، ونظيره قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[الشعراء:٧٨ ــ ٨٠]، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء إلى ذكر المرض قال ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ولم يقل أمرضني، وقال ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن:١٠] فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول؛ ومنه قول الخضر ــ ’ ــ في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] فأضاف العيب إلى نفسه، وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾[البقرة:١٨٧]فحذف الفاعل وبناه للمفعول، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا

يقترن بالتصريح بالفاعل ...[1] ، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[فصلت:٥١] « عَدَلَ عَنْ إِسْنَادِ إِصَابَةِ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ» [2].

وقد جعل ابن الأثير (ت٦٣٧ هـ) ألفاظ القرآن على قسمين :" الأول، وهو الجزل من الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨] ... وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، وأما مثال الثاني: وهو الرقيق اللفظ، فقوله تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤] ... إلى آخر السورة، وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسألة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦]، وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم في كلا هذين الحالين من الجزالة والرقَّة، وكذلك كلام العرب الأول في الزمن القديم مما ورد نثرًا"[3].

---

[1] بدائع الفوائد لابن القيم.

[2] التحرير والتنوير ١٥/٢٥.

[3] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١٧٣/١).

ومن أمثلة الذكاء اللغوي على مستوى اصطفاء الألفاظ:

١ ــ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى حَرَّةِ وَاقِمٍ[١]، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِصِرَارٍ[٢] إِذَا نَارٌ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنِّي لَأَرَى هَا هُنَا رَكْبًا قَصَّرَ بِهِمُ اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى دَنَوْنَا مِنْهُمْ، فَإِذَا بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صِبْيَانٌ صِغَارٌ وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى نَارٍ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ، فَقَالَ عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَدْنُو؟، فَقَالَتِ: ادْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ... [٣].

---

[١] حرة واقِم: إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية، سميت باسم رجل من العماليق، وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة: ٦٣ هـ. (معجم البلدان ٢٤٩/٢) .

[٢] صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدنية على طريق العراق. (معجم البلدان٣٩٨/٣، معجم معالم الحجاز ١٣٨/٥) .

[٣] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢٩٠/١ وتمامه: فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتِ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَحِمَكِ اللَّهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرُ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ، قَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّي وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا أُمَّ لَكَ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نُهَرْوِلُ، فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَرِّكُ لَكِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَغَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهُمْ وَأَنَا أُسَطِّحُ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ==

٢ ــ قِيْلَ: إِنَّ جَارِيَةً غَنَّتْ الوَاثِق (٢٠٠ - ٢٣٢ هــ) شِعْرَ العَرْجِيِّ (٠٠٠ - نحو ١٢٠ هــ) :

أَظَلُــومُ إِنَّ مُصَــابَكُمْ رَجُــلاً أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّــةً ظُلْــمُ [١]

فَمَنِ الحَاضِرِيْنَ مَنْ صَوَّبَ نَصْبَ (رَجُلاً) ، وَمِنْهُم مَنْ رَفَعَ.

فَقَالَتْ: هَكَذَا لَقَّنَنِي المَازِنِيُّ (٠٠٠ - ٢٤٩ هــ).

فَطَلَبَ المَازِنِيَّ، فَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: مِمَّن الرَّجُلُ؟

قَالَ: مِنْ مَازِنٍ.

قَالَ: أَيُّ المَوَازِنِ؛ أَمَازِنُ تَمِيْمٍ؟ أَمْ مَازِنُ قَيْسٍ؟ أُم مَازِنُ رَبِيْعَةَ؟

==

ذَلِكَ، وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كُنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الْــأَمْرِ مِــنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَدَّثِينِي هُنَاكَ إِنْ شَــاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرْبَضًا، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا، فَقَــالَ: يَــا أَسْــلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ..

[١] البيت من الكامل في ديوان العرجي: ١٩٣ونسبه صاحب " الاغاني " ٩ / ٢٣٤ إلى الحارث بن خالد المخزومي، ونقله عنه ياقوت في " معجم الأدباء " ٧ / ١١١، وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ١٠ / ٢١٢ بعد أن نقل نسبته إلى العرجي عن المبرد: وقال آخرون – وهو الصحيح –: إنه للحارث بن خالد المخزومي، وقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ للعَرْجِيِّ، كَمَا ظَنَّهُ الْحَرِيرِيُّ، فَقَالَ فِي دُرَّة الْغَوَّاص: هُوَ للعَرْجِــيِّ. وَصَوَابُهُ: أَظُلَيْم؛ وظُلَيم: تَرْخِيمُ ظُلَيْمة، وظُلَيْمة: تَصْغِيرُ ظَلُوم تَصْــغِيرَ التَّــرْخِيمِ. وَيُرْوَى: أَظَلُومُ إِنَّ مُصابَكم. وظُلَيْمُ: هِيَ أُمُّ عمْران، زوجةُ عبدِ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ، وكان الحرثُ يَنْسِبُ بِهَا، ولَمَّا مَاتَ زَوْجُهَا تَزَوَّجَهَا. وَرَجُلًا: منصوبٌ بمُصابٍ، يَعْنِي: إِنَّ إِصابَتَكم رَجُلًا؛ وظُلْم: خَبَرُ إِنَّ.(لسان العرب: ص و ب).

قُلْتُ: مَازِنُ رَبِيْعَةَ.

فَكَلَّمَنِي حِيْنَئِذٍ بِلُغَةِ قَوْمِي.

فَقَالَ: با اسْمُكَ؟ – لأَنَّهُم يَقْلِبُوْنَ المِيمَ باءً، وَالبَاءَ مِيماً – فَكَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَهُ بِـــ (مكر) .

فَقُلْتُ: بَكْرٌ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ.

فَفَطِنَ لَهَا، وَأَعْجَبَتْه[1].

ـــ فهذا موقف لأبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني(ت٢٤٩ هـــ) ، من بنى مازن، أحد الأئمة في اللغة من أهل البصرة، في حضرة الخليفة الواثق بالله، فكر في اللفظ الذي يكلم به الخليفة، فإن تكلم بلغة قومه أسمع الخليفة لفظا يحمل المكر، فتكلم بلغة الجمهور حتى يتفادى هذه الدلالة، وهذا يتوافق مع الشرع الحنيف في اصطفاء الأسماء الحسنة.

---

[1] سير أعلام النبلاء ٣١١/١٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص١٤١ ووفيـــات الأعيان ٢٨٤/١ وتاريخ الإسلام للذهبي ٩٥٠/٥ و إنباه الرواة " ١ / ٢٤٩، و الأغاني ٩ / ٢٣٤، ٢٣٥، و الوافي بالوفيات ١٠ / ٢١٢، ٢١٣. ، قَالَ: مَا تَقُـــوْلُ فِـــي هَـــذَا البَيْتِ؟

قُلْتُ: الوَجْهُ النَّصْبُ، لأَنَّ (مُصَابَكُم) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: (إِصَابَتِكُم) ، فَعَارَضَـــنِي ابْـــنُ اليَزِيْدِيِّ.

قُلْتُ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ إِنَّ ضَرْبَكَ زَيْداً ظُلْمٌ، فَالرَّجُلُ مَفْعُوْلُ (مُصَابَكُم)، والكَلاَمُ مُعَلَّقٌ إِلَى أَنْ تَقُوْلَ: (ظُلْمٌ) ، فَيَتُمُّ الكَلاَمُ.

فَأُعْجِبَ الوَاثِقُ، وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِيْنَارٍ

٣ ــ وسأل هارون المأمون عن جمع المسواك فقال: ضد محاسنك يــا أمير المؤمنين؛ فأعجب به غاية الإعجاب.

٤ ــ و دخل المأمون يوماً ديوان الخراج، فمر بغلام جميل على أذنه قلم، فأعجبه ما رأى من حسنه فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، وخريج أدبك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل لخدمتك، الحسن بن رجاء. فقال له المأمون: يا غلام، بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. ثم أمر أن يرفع عن مرتبة الديوان، وأمر له بمئة ألف درهم [١].

٥ــ دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي أمرد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: من أنت؟ قال: سليل نعمتك، وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته [٢].

٦ ــ ولما دخل ذُو الرُّمَّة (٧٧ – ١١٧ هــ) علي عبد الملك، وأنشده قصيدته التي أولها:

مَا بالُ عَيْنِكَ، مِنْهَا الماءُ، يَنْسَكِبُ؟ ..... [٣]

وكانت عين عبد الملك تدمع، فتوهم أنه خاطبه، فقال له: ما سؤالك عن هذا يا بن الفاعلة؟ ومقته، وأمر بإخراجه.

---

[١] الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي(ص٢٩٢) وتاريخ دمشق(٨٨/١٣) والعقد الفريد(١٠/٢).

[٢] محاضرات الأدباء(٨٠/١).

[٣] صدر بيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه(٩/١)وعجزه: كَأَنَّهُ مِنْ كُلَــى مَفْرِيَّــةٍ سَرَبُ.

وكذلك قول الْبُحْتُرِيِّ (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ) وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي أولها:

لك الويل من ليل تقاصر آخره..... [١]

فقال له: لك الويل والّحَرب [٢].

هـ ــ التصحيف والتحريف:

التحريف: تَغْيير اللَّفْظ دون الْمَعْنى، والتصحيف: تَغْيير اللَّفْظ وَالْمعْنَى[٣]، والاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير، ورواية كثيرة، وفهم كبير، وبمعرفة مقدمات الكلام، وما يصلح أن يأتي بعدها، مما يشاكلها، وما يستحيل مضامّته لها، ومقارنته بها، ويمتنع من وقوعه بعدها وتمييز هذا مستصعب عسر، إلا على أهله، الحاملين لثقله، والمستعذبين لمرارته[٤].

ومن طريف التصحيف المعتمد على ذكاء لغوي حاد:" حضَر شابٌ ذكيّ بعضَ مجالس الأدب، فقال بعضُهم: ما تصحيف نصَحْتُ فخنتني؟ فقال: تصحيفٌ حسَن، فاستغرب إسراعه، وكان في المجلس شاعر من أهل بَلَنْسِيَة[٥] فاتهم الشاب وقال مختبراً: ما تصحيف بلنسية؟ فأطرق ساعة ثم

---

[١] صدر بيت من الطويل للبحتري في ديوانه(١/ ٥١٣) وعجزه: وَمَا كَانَ لَيْلي قَبْــلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ.

[٢]الصبح المنبي عن حيثية المتنبي(٢/٢٩).

(٣) الكليات للكفوي ص٢٩٤

[٤]شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف(ص١٦).

[٥]مدينة مشهورة بالأندلس : معجم البلدان (١/٤٩٠).

قال: أربعة أشهر فجعل البلنسي يقول: صدق ظني فيك، إنك تدعي وتنتحل ما تقول، ويحك، والفتى يضحك، ثم قال له: اشعُرْ فأنتَ شاعر، فقال له: أي نسبة بين بلنسية وبين أربعة أشهر؟ فقال: إن لم يكن في اللفظ فهو في المعنى، ثم قام وهو يقول: هو ذاك، فتنبه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فإذا أربعة أشهر ثلث سنة، وهو تصحيف بلنسية، فخجل المنازعُ ومضى الى الشاب معترِفاً ومعتذراً[١].

و ــ الاشتراك اللفظي:

وقد حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[٢]، ومن أمثلة الذكاء اللغوي في استعمال المشترك اللفظي:

١ ــ قول بعضهم من أبيات يهجو بها شاعرا، فجاء من جملتها قوله:

وخلطتم بعض القران ببعضه ... فجعلتم الشعراء في الأنعام

ومعنى ذلك أن الشّعراء اسم سورة من القرآن الكريم والأنعام اسم سورة أيضا، والشعراء: جمع شاعر، والأنعام: ما كان من الإبل والبقر [٣]، قال ابن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥ هـ):" فالشعراء ههنا كما يصلح اسمه للسورة المعروفة، والأنعام أيضا اسم للسورة، فهما يصلحان أن يكون

---

[١] تصحيح التصحيف وتحرير التحريف (ص٥٨).

[٢] المزهر (٢٩٢/١).

[٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢٠٤/٢).

الشعراء جمع شاعر، وأن الأنعام جمع نعم، وهى البقر والغنم والإبل، فهذه مغالطة رشيقة لاشتمالها على ذكر الأمرين جميعا" [١].

٢ ــ وكذلك ورد قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه:

فمن مبلغ عنّى الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي لديه الرسائل
تمذهبت للنّعمان بعد ابن حنبل وفارقته إذ أعوزتــك المآكــل
وما اخترت رأي الشّافعىّ تديّنا ولكنّما تهوي الّذي منه حاصل
وعمّا قليل أنت لا شكّ صائر إلى مالك فافطن لما أنا قائل[٢]

ومالك: هو مالك ابن أنس صاحب المذهب رضي الله عنه، ومالك: هو خازن النار، وهذه مغالطة لطيفة.

ز ــ الحقيقة والمجاز :

١ ــ قال إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي: " كنت مع أبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤ هـ) في مجلس إبراهيم بن عبد الملك بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فسل عنه، فرجع، فقال: تركته يريد أن يموت، قال: فضحك منه بعض القوم، وقال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربية: يريد إن في معنى يكاد، قال: الله تعالى

---

[١] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز(٣٧/٣).

(٢) من الرجز

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[الكهف:٧٧] أي يكاد، قال: فقال أبو عمرو: لا نزال بخير ما كان فينا مثلك(١).

جاء في لسان العرب:" كادَ: وُضِعَتْ لِمُقَارَبَةِ الشَّيْءِ، فُعِلَ أَو لَمْ يُفْعَلْ، فمجرْدَةً تنبئ عَنْ نَفْيِ الْفِعْلِ، ومَقْرُونَةً بالجحْد تنبئُ عَنْ وُقُوعِ الْفِعْلِ. قَالَ بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[طه:١٥] ؛ أُريد أُخفيها. قَالَ: فَكَمَا جَازَ أَن تُوضَعَ أُريد مَوْضِعَ أَكاد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:٧٧] ، فَكَذَلِكَ أَكاد"(٢).

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾أَيْ قَرُبَ أَنْ يَسْقُطَ، وَهَذَا مَجَازٌ وَتَوَسُّعٌ ... فَكَانَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْمَجَازِ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُور، وَجَمِيعُ الْأَفْعَالِ الَّتِي حَقُّهَا أَنْ تَكُونَ لِلْحَيِّ النَّاطِقِ مَتَى أُسْنِدَتْ إِلَى جَمَادٍ أَوْ بَهِيمَةٍ فَإِنَّمَا هِيَ اسْتِعَارَةٌ، أَيْ لَوْ كَانَ مَكَانُهُمَا إِنْسَانٌ لكان ممتثلا لِذَلِكَ الْفِعْلِ، وَهَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا كثير(٣).

قال الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ):" وَمن الْمجَاز: قولُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[الكهف:٧٧] أَي أَقَامَه الخَضِرُ، ... والإِرادة إِنما تكون من الحَيَوَانِ، والجِدَارُ لَا يُرِيد، إِرادةً حَقِيقِيَّة، لأَنّ تَهَيُّؤَه للسُّقوطِ

(١) تاريخ بغداد(٤٩/١٢) ومعجم الأدباء (١٦١/١) والوافي بالوفيات(١٠٦/٦).
(٢) لسان العرب(ك و د).
(٣) الجامع لأحكام القرآن(٢٥/١١).

قد ظَهَرَ كَمَا تَظهَرُ أَفعالُ المُرِيدينَ، فوصَفَ الجِدَارَ بالإِرادةِ إِذ كانَت الصُّورتانِ وَاحِدَة، ومثلُ هذا كثيرٌ فِي اللُّغَة والشِّعر" [١].

وَقَدْ دلَّتْ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ كَوْنِ إِرَادَةِ الْجِدَارِ حَقِيقَةً ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ لِلْجَمَادَاتِ إِرَادَاتٍ وَأَفْعَالًا وَأَقْوَالًا لَا يُدْرِكُهَا الْخَلْقُ كَمَا صَرَّحَ تَعَالَى بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ خَلْقُهُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤] ، فَصَرَّحَ بِأَنَّنَا لَا نَفْقَهُ تَسْبِيحَهُمْ، وَتَسْبِيحُهُمْ وَاقِعٌ عَنْ إِرَادَةٍ لَهُمْ يَعْلَمُهَا هُوَ جَلَّ وَعَلَا وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُهَا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ[٢].

٢ــ خرج سليمان بن عبد الملك (٥٤ – ٩٩ هـ) يستسقي فسمع أعرابيا يقول:

ربّ العباد مالنا ومالكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

فضحك سليمان، وقال أشهد أنه لا أبا له ولا صاحبة ولا ولد[٣]، فَأَخْرجهُ سُلَيْمَان أحسن مخرج. [٤]، والذي يستطيع أن يلتمس العذر والبراءة لأخيه أحسن دينا ممن ينتظر العثرات

جاء في لسان العرب " أَن قَوْلهمْ (لَا أَبا لَك) كَلَامٌ جَرى مَجْرى الْمَثَلِ، وَذَلِكَ أَنك إِذا قُلْتَ هَذَا فإِنك لَا تَنْفي فِي الْحَقِيقَةِ أَباهُ، وإِنما تُخْرِجُه مُخْرَج

---

[١] تاج العروس(ر و د).

[٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٣٣٩/٣).

[٣]معجم الأدباء (٤٩٠/٢) ومجمع الأمثال (١٣٣/١)

[٤] نثر الدر في المحاضرات (٤١/٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١٠٣/٤)

الدُّعاء عَلَيْهِ، أَي أَنت عِنْدِي مِمَّنْ يستحقُّ أَن يُدْعى عَلَيْهِ بِفَقْدِ أَبيه .... وَيُؤَكَّدُ عِنْدَكَ خُرُوجُ هَذَا الْكَلَامِ مَخْرَجِ الْمَثَلِ كثرتُه فِي الشِّعْرِ، وأَنه يُقَالُ لِمَنْ لَهُ أَب ولِمَنْ لَا أَبَ لَهُ، لأَنه إِذا كَانَ لَا أَبَ لَهُ لَمْ يجُزْ أَن يُدْعى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِيهِ لَا مَحالة، أَلا تَرَى أَنك لَا تَقُولُ لِلْفَقِيرِ أَفْقَرَه اللَّهُ؟ فَكَمَا لَا تَقُولُ لِمَنْ لَا أَبَ لَهُ أَفقدك اللَّهُ أَباك كَذَلِكَ تَعْلَمُ أَن قَوْلَهُمْ لِمَنْ لَا أَبَ لَهُ لَا أَبا لَك لَا حَقِيقَةَ لِمَعْنَاهُ مُطابِقة لِلَفْظِهِ، وإِنما هِيَ خَارِجَةٌ مَخْرَج الْمَثَلِ ... وَيُقَالُ: لَا أَبَ لَكَ ولَا أَبَا لَك، وَهُوَ مَدْح، وَرُبَّمَا قَالُوا لَا أَباكَ لأَن اللَّامَ كالمُقْحَمة" [1].

والذي قاله الأعرابي ظاهره الكفر، يقول ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم:٥١]:" ... هَذِهِ الْجُمْلَةُ سِيقَتْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَانَ مَطْبُوعٌ فِي نُفُوسِهِمْ بِحَيْثُ يُعَاوِدُهُمْ بِأَدْنَى سَبَبٍ فَهُمْ إِذَا أَصَابَتْهُمُ النِّعْمَةُ اسْتَبْشَرُوا وَلَمْ يَشْكُرُوا، وَإِذَا أَصَابَتْهُمُ الْبَأْسَاءُ أَسْرَعُوا إِلَى الْكُفْرَانِ فَصُوِّرَ لِكُفْرِهِمْ أَعْجَبَ صُورَةٍ وَهِيَ إِظْهَارُهُمْ إِيَّاهُ بِحِدْثَانِ مَا كَانُوا مُسْتَبْشِرِينَ مِنْهُ إِذْ يَكُونُ الزَّرْعُ أَخْضَرَ وَالْأَمَلُ فِي الِارْتِزَاقِ مِنْهُ قَرِيبًا فَيُصِيبُهُ إِعْصَارٌ فَيَحْتَرِقُ فَيَضِجُّونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَكُونُ حَالُهُمْ حَالَةَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَتَجْرِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ عِبَارَاتُ السُّخْطِ وَالْقُنُوطِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ رُجَّازِ الْأَعْرَابِ إِذْ أَصَابَ قَوْمَهُ قَحْطٌ:

رَبَّ الْعِبَادِ مَا لَنَا وَمَا لَكَ ... قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَ

أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لَكَ[2].

وعَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا عِنْدَ المَقَامِ، «يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ،

---

[1] لسان العرب (١١/١٤).

[2] التحرير والتنوير (١٢٥/٢١)

وَإِذَا قَامَ وَإِذَا وَضَعَ»، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوَلَيْسَ تِلْكَ صَلاَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاَ أُمَّ لَكَ[1].

[1] صحيح البخاري(١/١٥٧/٧٨٧)

خامسا: المستوى السياقي

تعد نظرية السياق من أكثر النظريات اللغوية قدرة على فهم النص اللغوي فهما صحيحا، لا سيما تلك النصوص التي يوحي ظاهرها بأكثر من معنى، والسياق عند علماء الدرس اللغوي الحديث: « مؤدى الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ، أو تحديد المعاني المرادة من بين معانيها»[١] ، ، أو هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية ، لها أثر في فهمه ، من سابق أو لاحق به ، أو حال من حال المخِاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه[٢].

ويقسم المحدثون السياقات إلى ثلاثة أقسام :

١- السياق اللفظي، أو السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة[٣].

٢- سياق الحال(الموقف)، ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة.

٣- السياق العاطفي: ويحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا.

٤- السياق الثقافي(الاجتماعي): ويقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.

---

[١] المعنى اللغوي دراسة نظرية تطبيقية :د. محمد حسن جبل(ص٩٤)

[٢]السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، للدكتور سعيد الشهراني (ص٢٢).

(٣) علم الدلالة : د. فريد عوض حيدر (ص١٥٨).

٥- السياق العقلي: وهو سياق خارج عن النص اللغوي وسياق الحال، وإنّما هو شيء معنوي ، طريقه العقل ويستنبَط من النصِّ ، ويدلُّ عليه المعنى العام ، وبه يوصَل إلى الدَلالة المَقصودة(١) .

والسياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع: النوع الأول: سياق القرآن. النوع الثاني: سياق السورة. النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات. النوع الرابع: سياق الآية(٢) .

ويذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى تقسيم آخر للسياق أوصله إلى ستة أنواع، وهي:

١ ــ السياق المكاني: ويعني سياق الآية داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق؛ أي: مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية.

٢ ــ السياق الزمني للآيات: أو سياق التنزيل، ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

٣ ــ السياق الموضوعي: ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد.

---

(١) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية : علي جابر المنصوري (١٠٦)

(٢) دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم(ص٨٨).

٤ ــ السياق المقاصدي: ومعناه النظر إلى الآية القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالج.

٥ ــ السياق التاريخي، بمعنييه: العام وهو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص وهو أسباب النزول.

٦ ــ السياق اللغوي: وهو دراسة النص القرآني من خلال علاقة ألفاظه بعضها ببعض والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، وما يترتب على تلك العلاقة من دلالات جزئية وكلية(١).

والكشف عن السياق والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه مما تختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه إشغالاً للذهن، ولذلك كانت دلالة السياق دلالة ذوقية، كما عبّر عنها الأصوليون، ومما يدل على أن السياق يحتاج إلى دقة فهم ونظر ثاقب، ما تميز به ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ في فهم كتاب الله تعالى ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن الشواهد على ذلك: " قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ــ رضي الله عنه ــ لِلصَّحَابَةِ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ [النصر: ١] السُّورَةَ؟ قَالُوا: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ إِذَا فَتَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ، فَقَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا تَقُولُ أَنْتَ؟ قَالَ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم-، أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا غَيْرَ مَا تَعْلَمُ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ الْفَهْمِ وَأَلْطَفِهِ، وَلَا يُدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ – سُبْحَانَهُ – لَنْ يُعَلِّقَ الِاسْتِغْفَارَ

(1) منهج السياق في فهم النص: عبد الرحمن بودرع، سلسلة كتاب الأمة، العدد ١١١، محرم ١٤٢٧ هـ، ص٣٠

بِعَمَلِهِ، بَلْ عَلَّقَهُ بِمَا يُحْدِثُهُ هُوَ – سُبْحَانَهُ – مِنْ نِعْمَةِ فَتْحِهِ عَلَى رَسُولِهِ وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِهِ، وَهَذَا لَيْسَ بِسَبَبٍ لِلِاسْتِغْفَارِ، فَعَلِمَ أَنَّ سَبَبَ الِاسْتِغْفَارِ غَيْرُهُ، وَهُوَ حُضُورُ الْأَجَلِ الَّذِي مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ تَوْفِيقُهُ لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالِاسْتِغْفَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَلْقَى رَبَّهُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَيَقْدَمَ عَلَيْهِ مَسْرُورًا رَاضِيًا مَرْضِيًّا عَنْهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] وَهُوَ كَانَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ دَائِمًا، فَعَلِمَ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ التَّسْبِيحُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَدُخُولُ النَّاسِ فِي هَذَا الدِّينِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْمُتَقَدِّمِ، وَذَلِكَ مُقَدَّمَةٌ بَيْنَ يَدَيْ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَأَنَّهُ قَدْ بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْ عُبُودِيَّةِ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ الَّتِي تُرَقِّيهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ بَقِيَّةٌ فَأَمَرَهُ بِتَوْفِيَتِهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – شَرَعَ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ فِي خَوَاتِيمِ الْأَعْمَالِ، ...فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْبَةَ مَشْرُوعَةٌ عَقِيبَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَأَمَرَ رَسُولَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ عَقِيبَ تَوْفِيَتِهِ مَا عَلَيْهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ حِينَ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، فَكَأَنَّ التَّبْلِيغَ عِبَادَةٌ قَدْ أَكْمَلَهَا وَأَدَّاهَا، فَشُرِعَ لَهُ الِاسْتِغْفَارُ عَقِيبَهَا.

وَالْمَقْصُودُ تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي مَرَاتِبِ الْفَهْمِ فِي النُّصُوصِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنْ الْآيَةِ حُكْمًا أَوْ حُكْمَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنْهَا عَشَرَةَ أَحْكَامٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي الْفَهْمِ عَلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ دُونَ سِيَاقِهِ وَدُونَ إِيمَائِهِ وَإِشَارَتِهِ وَتَنْبِيهِهِ وَاعْتِبَارِهِ، وَأَخَصُّ مِنْ هَذَا وَأَلْطَفُ ضَمُّهُ إِلَى نَصٍّ آخَرَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْ اقْتِرَانِهِ بِهِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ بِمُفْرَدِهِ، وَهَذَا

بَابٌ عَجِيبٌ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ لَا يَتَنَبَّهُ لَهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الذِّهْنَ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِارْتِبَاطِ هَذَا بِهَذَا وَتَعَلُّقِهِ بِهِ[1] .

وفهم السياق والوصول إليه واستنباطه يحتاج إلى أمور:

أولاً: صفاء الذهن ودقة النظر، وإدامة التأمل في كتاب الله تعالى، وبعد الغوص فيه، وتكرار البحث والتحري فيه لطلب السياق وتعيينه بقرائنه المختلفة، قال القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢ هـ): " ويحتاج في كثير منه إلى دقّة الفطنة، وصفاء القريحة، ولُطف الفكر، وبعد الغوص، ومِلاك ذلك كله وتمامُه الجامع له والزّمام عليه صحّة الطبع، وإدمان الرياضة؛ فإنهما أمران ما اجتَمعا في شخص فقصّرا في إيصال صاحبهما عن غايته، ورضِيا له بدون نهايته "[2] ، وقال الزركشي(ت٧٩٤ هـ): " وَإِنَّمَا يَفْهَمُ بَعْضَ مَعَانِيهِ وَيَطَّلِعُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَمَبَانِيهِ مَنْ قَوِيَ نَظَرُهُ وَاتَّسَعَ مجاله في الفكر وتدبره وامتد باعه ووقت طباعه وامتد في فنون الأدب وأحتط بِلُغَةِ الْعَرَبِ"[3] .

وإدامة النظر والتأمل في كتاب الله تعالى تمنح صاحبها ملكة في معرفة أسلوب القرآن وطرق مخاطباته وأغراضه، وكل ذلك دال على فهم السياق.

قال الشاطبي(ت٧٩٠ هـ):" فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٨٢] ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالظُّلْمِ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين(٢٦٧/١).
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه (٤١٣).
(٣) البرهان في علوم القرآن (٥/١).

أَنْوَاعُ الشِّرْكِ عَلَى الْخُصُوصِ، فَإِنَّ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مُقَرِّرَةٌ لِقَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ، وَهَادِمَةٌ لِقَوَاعِدِ الشِّرْكِ وَمَا يَلِيهِ، وَالَّذِي تَقَدَّمَ قَبْلَ الْآيَةِ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ ' فِي مُحَاجَّتِهِ لِقَوْمِهِ بِالْأَدِلَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لَهُمْ فِي الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢١] ، فبيَّن أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنِ ارْتَكَبَ هَاتَيْنِ الْخُلَّتَيْنِ وَظَهَرَ أَنَّهُمَا الْمَعْنِيّ بِهِمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِبْطَالًا بالحجة، وتقريرًا لمنزلتهما في المخالفة، وَإِيضَاحًا لِلْحَقِّ الَّذِي هُوَ مُضَادٌّ لَهُمَا؛ فَكَأَنَّ السُّؤَالَ إِنَّمَا وَرَدَ قَبْلَ تَقْرِيرِ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَيْضًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ تَقْرِيرًا لِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ بِلَفْظٍ عَامٍّ؛ كَانَ مَظِنَّةً لِأَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ الْعُمُومُ فِي كُلِّ ظُلْمٍ، دَقَّ أَوْ جَلَّ؛ فَلِأَجْلِ هَذَا سَأَلُوا وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ السُّورَةِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ تَقْرِيرِ جَمِيعِ كُلِّيَّاتِ الْأَحْكَامِ.

وَسَبَبُ احْتِمَالِ النَّظَرِ ابْتِدَاءً أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٨٢] نَفْيٌ عَلَى نَكِرَةٍ، لَا قَرِينَةَ فِيهَا تَدُلُّ عَلَى اسْتِغْرَاقِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، بَلْ هُوَ كَقَوْلِهِ: لَمْ يَأْتِنِي رَجُلٌ؛ فَيَحْتَمِلُ الْمَعَانِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا سِيبَوَيْهِ، وَهِيَ كُلُّهَا نَفْيٌ لِمُوجِبٍ مَذْكُورٍ أَوْ مُقَدَّرٍ، وَلَا نَصَّ فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى الِاسْتِغْرَاقِ فِي جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ الْمُحْتَمِلَةِ؛ إِلَّا مَعَ الْإِتْيَانِ بِمَنْ وَمَا يُعْطِي مَعْنَاهَا، وَذَلِكَ مَفْقُودٌ هُنَا، بَلْ فِي السُّورَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ النَّفْيَ وَارِدٌ على ظلم معروف، وهو ظلم الِافْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِهِ؛ فَصَارَتِ الْآيَةُ مِنْ جِهَةِ إِفْرَادِهَا بِالنَّظَرِ فِي هَذَا الْمَسَاقِ مَعَ كَوْنِهَا أَيْضًا فِي مَسَاقِ تَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ مُجْمَلَةً فِي عُمُومِهَا فَوَقَعَ الْإِشْكَالُ فِيهَا، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمُ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم أَنَّ عُمُومَهَا إِنَّمَا الْقَصْدُ بِهِ نَوْعٌ أَوْ نَوْعَانِ مِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، وَذَلِكَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ تَخْصِيصٌ عَلَى هَذَا بوجه[1].

وهاكم بعض الصور للذكاء اللغوي المعتمد على السياق:

١ ــ قال مُحَمَّد بن زَكَرِيَّا: حضرت مَجْلِسا فِيهِ عبيد الله بن مُحَمَّد بن عَائِشَة التَّمِيمِي (٠٠٠ – ٢٢٨ هــ) وَفِيه جَعْفَر بن الْقَاسِم الْهَاشِمِي، فَقَالَ لِابْنِ عَائِشَة: هَهُنَا آيَة نزلت فِي بني هَاشم خُصُوصا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْله تَعَالَى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾[الزخرف:٤٤]. فَقَالَ ابْن عَائِشَة: قومه قُرَيْش، وَهِي لنا مَعكُمْ. قَالَ: بل هِيَ لنا خُصُوصا. قَالَ: فَخذ مَعهَا ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾[الأنعام:٦٦]، قَالَ: فَسكت جَعْفَر فَلم يجد جَوَابا[2].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْقُرْآنَ سَبَبُ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ يُكْسِبُ قَوْمَهُ شَرَفًا يُذْكَرُونَ بِسَبَبِهِ، " وفي قومه ثلاثة أقوال: أحدها: العرب قاطبة، والثاني: قريش، والثالث: جميع من آمن به" [3]، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ(ت٦٧١ هــ): « ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾يَعْنِي الْقُرْآنَ شَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ وَعَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، نَظِيرُهُ:" لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ" [الأنبياء: ١٠] أَيْ شَرَفُكُمْ، فَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَإِيَّاهُمْ خَاطَبَ، فَاحْتَاجَ أَهْلُ اللُّغَاتِ كُلِّهَا إِلَى لِسَانِهِمْ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِذَلِكَ فَصَارُوا عِيَالًا عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ أَهْلَ كُلِّ لُغَةٍ احْتَاجُوا إِلَى أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنْ لُغَتِهِمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنَ

---

(١) الموافقات (٤/٢٧).

(٢)تاريخ بغداد (١٠/٣١٦) وتهذيب الكمال (١٩/١٥١).

(٣)زاد المسير(٤/٧٩).

الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ، فَشُرِّفُوا بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَهْلِ اللُّغَاتِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ عَرَبِيًّا»[1] ، وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ):" وَقَومه هُمْ قُرَيْشٌ لِأَنَّهُمُ الْمَقْصُودُ بِالْكَلَامِ، أَوْ جَمِيعُ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهُمْ شَرُفُوا بِكَوْنِ الرّسول الْأَعْظَم صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ بِلُغَتِهِمْ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ الشَّرَفُ لَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَعْصُرِ إِلَى الْيَوْمِ، وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ لِلْعَرَبِ مَنْ يَشْعُرُ بِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْعَظِيمَةِ الْغَالِبَةِ عَلَى الْأَرْضِ[2].

وقال البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ): "﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي الذي أوحى إليك في الدنيا ﴿لَذِكۡرٞ﴾ أي شرف عظيم جداً وموعظة وبيان، عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على أن سببه الإقبال على الذكر وعلى ما بينه وشرعه والاستمساك به والاعتناء بشأنه: ﴿لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ قريش خصوصاً والعرب عموماً وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم من جهة نزوله على واحد منهم وبلسانهم، فكان سائر الناس تبعاً لهم ومن جهة [3].

وأما الآية التي ذكرها ابن عائشة فـ"الضَّمِيرُ فِي «بِهِ» لِلْقُرْآنِ ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾أَيْ فِي كَوْنِهِ كِتَابًا مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّه[4]، أَيْ: وَكَذَّبَ جُمْهُورُ قَوْمِكَ

---

[1]الجامع لأحكام القرآن(٩٣/١٦).

[2] التحرير والتنوير(٢٢١/٢٥).

[3]نظم الدرر (٤٦٣/١٧).

[4] مفاتيح الغيب (٢١/١٣) والجامع لأحكام القرآن(١١/٧)، وقد ذكر بعض المفسرين ثلاثة أقوال في عود الضمير : القرآن وَهُوَ الْحَقُّ يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله، وقيل الضمير في به يرجع إلى العذاب وهو الحق يعني أنه نازل بهم أن أقاموا على كفرهم وتكذيبهم، وقيل: الضمير يرجع إلى تصريف الآيات وهو الحق لأنهم كذبوا كونها من عند الله (لباب التأويل في معاني التنزيل ١٢٢/٢).

وَهُمْ قُرَيْشٌ بِالْعَذَابِ أَوْ بِالْقُرْآنِ، عَلَى مَا صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْجَاذِبَةِ إِلَى فِقْهِ الْإِيمَانِ بِجَعْلِهَا حُجَجًا يُثْبِتُهَا الْحِسُّ وَالْعَقْلُ وَالْوِجْدَانُ فِي أَعْلَى أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ الْبَيَانِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ فِي نَفْسِهِ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ إِلَّا الْكِبْرُ وَالْعِنَادُ وَالْجُمُودُ عَلَى تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ[1].

وقال بعض المفسرين: إن قوم النبي صلى الله عليه وسلم هم أمته الذين بعث فيهم لَا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أبيض وأسود، ولا شرقي ولا غربي، فأولئك قومه صلى الله عليه وسلم ونحن نميل إلى ما عليه الجمهور من المفسرين، لأن الأمة أعم من القوم، في أصل الدلالة اللغوية، وإنما ذكر الله تعالى قوم النبيصلى الله عليه وسلم من قريش، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان حفيا بأن يؤمنوا حريصا على إيمانهم... [2].

وهكذا استطاع ابن عائشة بذكائه اللغوي الاعتماد على سياق القرآن في إسكات خصمه، وإن كانت الآية الأولى تحتمل توسع دلالة القوم ليشمل جميع الأمة أكثر من تحمل دلالة القوم في الآية الثانية بما يدل عليه سياق السورة.

٢ ــ قَالَ طراد بن مُحَمَّد(٣٩٨ – ٤٩١ هـــ): إن يَهُودِيّا نَاظر مُسلما أَظُنهُ قَالَ فِي مجْلِس المرتضي، فَقَالَ الْيَهُودِيّ: إيش أَقُول فِي قوم سماهم الله مُدبرين يَعْنِي النَّبِي ﷺوَأَصْحَابه يَوْم حنين؟!.

---

[1] تفسير المنار(٤١٧/٧)

[2] زهرة التفاسير(٢٥٤١/٥)

فَقَالَ الْمُسلم: فَإِذَا كَانَ مُوسَى ' أدبر مِنْهُم. قَالَ لَهُ: كَيفَ؟ قَالَ: لِأَن الله تَعَالَى قَالَ ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [النمل:١٠] [القصص:٣١] وَهَؤُلَاء مَا قَالَ فيهم وَلم يعقبوا، فَسكت[١].

يشير اليهودي إلى الآية الكريمة: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ أَيْ: وَلَّيْتُمْ فَارِّينَ عَلَى أَدْبَارِكُمْ مُنْهَزِمِينَ تَارِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَسْنَدَ التَّوَلِّي إِلَى جَمِيعِهِمْ وَهُوَ وَاقِعٌ مِنْ أَكْثَرِهِمْ، إِذْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ' نَاسٌ مِنَ الْأَبْطَالِ[٢].

وَالتَّوَلِّي: الرُّجُوعُ، و﴿مُّدۡبِرِينَ﴾ حَالٌ: إِمَّا مُؤَكِّدَةٌ لِمَعْنَى ﴿وَلَّيۡتُم﴾ أَوْ أُرِيدَ بِهَا إِدْبَارٌ أَخَصُّ مِنَ التَّوَلِّي، لِأَنَّ التَّوَلِّيَ مُطْلَقٌ يَكُونُ لِلْهُرُوبِ، وَيَكُونُ لِلْفَرِّ فِي حِيَلِ الْحُرُوبِ، وَالْإِدْبَارُ شَائِعٌ فِي الْفِرَارِ الَّذِي لَمْ يُقْصَدْ بِهِ حِيلَةً فَيَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوَلِّي اصْطِلَاحا حَرْبِيّا[٣]، والتولي الإعراض مُطلقًا وَلَا يلْزمه الإدبار، فَإِن تولي الرَّسُول عَن ابْن أم مَكْتُوم لم يكن بالإدبار، والتولي بالإدبار قد يكون على حَقِيقَته كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ وَقد يكون كِنَايَة عَن الانهزام كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ ، والتولي: قد يكون لحَاجَة تَدْعُو إِلَى الِانْصِرَاف مَعَ ثُبُوت

---

[١] الأذكياء (ص ١٣٥).

[٢] البحر المحيط (٣٩٣/٥).

[٣] التحرير والتنوير (١٥٧/١٠).

العقد، والإعراض الِانْصِرَاف عَن الشَّيْء بِالْقَلْبِ قَالَ بَعضهم: " المعرض وَالْمُتولِّيّ يَشْتَرِكَانِ فِي ترك السلوك، إِلَّا أَن المعرض أَسْوَأ حَالا، لِأَن الْمُتَوَلِي مَتى نَدم سهل عَلَيْهِ الرُّجُوع والمعرض يحْتَاج إِلَى طلب جَدِيد، وَغَايَة الذَّم الْجمع بَينهمَا "، والتولي إذا وصل بإلى: يكون بِمَعْنى الإقبال عَلَيْهِ: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَىٰ ٱلظِّلِّ ﴾ وَإِذا وصل بعن لفظا أَو تَقْديرا اقْتضى معنى الاعراض وَترك الْقرب وَعَلِيهِ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

وفي السنة ما يؤيد وجهة نظر المسلم في المحاورة فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ»، قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ»[2].

والخطاب في قوله تعالى:﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ للمجموع فإن الذين فعلوا ذلك ليسوا هم المؤمنين من المهاجرين والأنصار، إنما أكثر من فعل ذلك من الطلقاء وأبناء الطلقاء، الذين بلغ عددهم في ذلك الجيش نحو ألفين، وفيهم من أسلم بعد الحديبية ولم يكن فيهم إيمان الأنصار والمهاجرة. والتعبير بـــ (ثُمَّ) للإشارة إلى البعد المعنوي بين إرادة النصر والفرار،

---

[1] الكليات (٢٨/١).

[2] صحيح مسلم(١٤٠١/٣/١٧٧٦).

وقوله تعالى: (وَلَّيْتُم) إشارة إلى أنهم عند الصدمة الأولى أعرضوا عن القتال، وفروا مدبرين تاركين أقفيتهم للعدو، تعمل فيها سيوفهم [١].

﴿ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ولم يرجع ، قاله مجاهد ، قال قطرب: مأخوذ من العقب. الثاني: ولم ينتظر ، قاله السدي. الثالث: ولم يلتفت ، قاله قتادة. ويحتمل رابعاً: أن يكون معناه أنه بقي ولم يمش ، لأنه في المشيء معقب لابتدائه بوضع عقبة قبل قدمه[٢].

قال البقاعي(ت: ٨٨٥ هـ): "ولما كانت عليه التولية مشتركة بين معان، بين المراد بقوله: ﴿ مُدۡبِرٗا ﴾ أي التفت هارباً منها مسرعاً جداً لقوله: ﴿ وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾ أي لم يرجع على عقبه، ولم يتردد في الجد في الهرب، ولم يلتفت إلى ما وراءه بعد توليته، يقال: عقب عليه تعقيباً، أي كر، وعقب في الأمر تعقيباً: تردد في طلبه مجداً . [٣].

٣ ــ قَعَدَ هَمَّام بن مُنَبِّهٍ (٤٠ – ١٣١ هـ) إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ رَجُلٌ بِنَجْرَانَ مِنَ الأَبْنَاءِ يُعَظِّمُونَه، يُقَالُ لَهُ: حَنَشٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ لِحْيَةٌ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ. قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَجُوْزُكُم – يُرِيْد حَنَشاً –؟ قَالَ هَمَّامٌ: عَجُوْزُنَا أَسلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ،

---

[١] زهرة التفاسير (٣٢٦٦/٦).

[٢] النكت والعيون (١٩٦/٤).

[٣] نظم الدرر(١٣٤/١٤).

وَعَجُوْزُكُم حَمَّالَةُ الحَطَبِ. فَبُهِتَ القُرَشِيُّ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَا تَدْرِي مَنْ كَلَّمتَ؟ لِمَ تَعَرَّضتَ بِابْنِ مُنَبِّهٍ؟[1].

ومكان العبرة من عجوز اليمن في قوله:﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[النمل:٤٤] وَمَكَانُ الْعِبْرَةِ مِنْهَا التِّعَاظُ بِحَالِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ، إِذْ لَمْ يَصُدَّهَا عُلُوُّ شَأْنِهَا وَعَظَمَةُ سُلْطَانِهَا مَعَ مَا أُوتِيَتْهُ مِنْ سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ وَذَكَاءِ الْعَقْلِ عَنْ أَنْ تَنْظُرَ فِي دَلَائِلِ صِدْقِ الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ وَتُوقِنَ بِفَسَادِ الشِّرْكِ وَتَعْتَرِفَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ، فَمَا يَكُونُ إِصْرَارُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُمُ الْهَدْيُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَّا لِسَخَافَةِ أَحْلَامِهِمْ أَوْ لِعَمَايَتِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَتَمَسُّكِهِمْ بِالْبَاطِلِ وَتَصَلُّبِهِمْ فِيهِ[2].

ويبدو أن هذه المحاورة حدثت بين أكثر من اثنين، وكان الذكاء اللغوي حاضرا في الاستدلال بالسياق في دحض أحد المتناظرين.

نظر الفرزدق(٠٠٠ – ١١٠ هـ) إِلَى شيخ من الْيمن فَقَالَ: كَأَنَّهُ عَجُوز سبأ. فَقَالَ لَهُ: عَجُوز سبأ خير من عَجُوز مُضر، تِلْكَ. قَالَت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾وَهَذِه: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[المسد:٥] [3].

وتروى هذه المحاورة بطريقة أخرى: " قَالَ وهب بن مُنَبّه اسْتعْمل علينا عبد الله بن الزبير رجلا منا وَكَانَ دميما يلقب بِعَجُوزِ الْيمن، فَقدمت على

---

[1] سير أعلام النبلاء (٣١٣/٥) والعقد الفريد (١٣٣/٤).، والسلوك في طبقات العلماء والملوك (١٠٢/١)

[2] التحرير والتنوير(٢٧٧/١٩).

[3] نثر الدر في المحاضرات(١٢٥/٢).

ابْن الزبير في وَفد الْيمن وَعِنْده عبد الله بن خَالِد بن أسيد، فَقَالَ لي يَا عبد الله، كَيفَ عَجُوز الْيمن؟ فَلم أجبه، فَأَعَادَهَا مرَارًا، فَلَمَّا أَكثر قلت: أسلمت ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل:٤٤]قَالَ: فَمَا فعلت عَجُوز قُرَيْش؟ قَالَ: وَمَا عَجُوز قُرَيْش؟ قلت: أم جميل ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[المسد:٥] فَضَحِك ابْن الزبير وَقَالَ لِابْنِ خَالِد: أَسَأْت الْمَسْأَلَة، وَأحسن الْجَواب [١].

﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[المسد:٤] هي أم جميل بنت حَرْب وَأُخْت أَبي سُفْيَان التي ذكرهَا الله تَعَالَى في سُورَة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]يضْرب بهَا الْمثل في الخسران، فَيُقَال أخسر من حمالَة الْحَطب،

قال الزمخشري(ت٥٣٨ هـ):" عيّره برجل من قومه، فخيل أنه يسأل عن بلقيس وكانت من اليمن، فأجاب بأنها أسلمت مع سليمان، وعيّره بعجوز قومه التي هي حمالة الحطب، ودفع عن الرجل الدفع الحسن، فلله عقولهم ما أثقبها!! أما تراه كيف غالط، وكيف أبعد عن أميره المذمة على الطريقة الجميلة" [٢].

ومثل ذلك أيضاً ما يحكى أن عقيل بن أبي طالب (٠٠٠ - ٦٠ هـ) هاجر أخاه علياً ـ رضي الله عنه ـ والتحق بمعاوية، فبالغ معاوية في بره؛ وزاد في إكرامه إرغاماً لعلي ـ رضي الله عنه ـ فلما قتل علي واستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل، فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه، فبينما هو يوماً

[١] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب(ص٣٠١).
[٢] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار(٧٧/٢).

في مجلس حفل بأهل الشام إذ قال معاوية: أتعرفون أبا لهب الذي نزل في حقه قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد: ١] من هو؟ فقال أهل الشام: لا، فقال معاوية: هو عم هذا، وأشار إلى عقيل، فقال عقيل في الحال: أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾[المسد:٥] من هي؟ فقالوا: لا، قال: هي عمة هذا، وأشار إلى معاوية، وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى، وهي المشار إليها في هذه السورة، فكان ذلك من الأجوبة المسكتة[١].

٤ -وقفت امْرَأَة قبيحة على عطار ماجن، فَلَمَّا نظر إِلَيْهَا قَالَ: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾[التكوير:٥]، فَقَالَت: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾ [يس:٧٨][٢]، والعرب تقول لمن يعيّر غيره بما هو فيه: « عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَهْ، ونَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهْ» [٣]، وفي القرآن: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾ [يس:٧٨][٤].

---

[١] وفيات الأعيان (١٥٦/٦).

[٢] أخبار الظراف والمتماجنين (ص١٥٢).

[٣] المثل في تهذيب اللغة والصحاح(ب ج ر) يَعْنِي عُيُوبَه. وَقَالَ الأَزهريُّ: قَالَ المُفَضَّل: بُجَيْرٌ وبُجَرَةُ كَانَا أَخَوَيْنِ فِي الدَّهْرِ القديمِ، وذَكَرَ قِصَّتَهما، قَالَ: وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهلُ اللُّغَة أَنَّ ذَا بُجْرَةٍ فِي سُرَّتِه عَيَّرَ غيرِه بِمَا فِيهِ، كَمَا قِيل فِي امرأَة عَيَّرتْ أُخْرَى بعَيْبٍ فِيهَا: (رَمَتْنِي بدائِهَا وانْسَلَّتْ) (تاج العروس: ب ج ر).

[٤]زهر الآداب وثمر الألباب (٤/ ١١٠٦).

٥–وكان أَبُو بكر بن عبد الله الملوي(٧٦٢ ــ ٨٤١ هــ) يفسر الْقُــرْآن برَأْيِهِ على قَاعِدَته، فضبطوا عَلَيْهِ أَشْيَاء ورَفع إِلَى القَاضِي الْجلَال البُلْقِينِيّ (٧٦٣ – ٨٢٤ هـــ) فَمَنعــه مــن ذَلِــك إِلَّــا إِن قَــرَأَ مــن تَفْسِــير الْبَغَوِيّ(ت٥١٦هــ) وشبهه.

قال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هــ) وَاجْتمعَ بِي بِسَبَب ذَلِك فَوَجَدته حسن السمت، إلا أنه عري عَن الْعلم، وَكَانَ قَالَ فِيمَا ذكر لي أَنه رأى فِي قَوْله تَعَالَى ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾[الشــعراء:١٢٤] أَن الضَّمِير فِي قَوْله﴿أَخُوهُمْ﴾لــ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فَقلت لَهُ: بل لعاد، فَقَالَ: لَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَلِيق بِالنَّبِيِّ أَن يُوصف بِأَنَّهُ أَخُو الْكَفَرَة، فَقلت لَهُ : فقد قَالَ فِــي الْآيَــة الْأُخْرَى ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾[الأحقاف:٢١] فَسكت [١].

وهكذا اعتمد ابن حجر على السياق القرآني في دحض خصمه، وهــذا من الذكاء اللغوي الذي يعتمد صاحبه على السياق العام للقرآن الكريم

٦ ــ روى أَن رَافِضِيًّا سَأَلَ عبد الْعَزِيز بن جَعْفَر بن أَحْمد بن يــزْدَاد الْمَعْرُوف بِغُلَام الْخلال(ت٣٦٣ هــ) عَــن قَــول الله تَعَــالَى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزمر:٣٣]من هُوَ؟ فَقَالَ: أَبُو بكر الصّديق ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ . فَرد عَلَيْهِ وَقَالَ: بل هُوَ عَليّ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ فهمّ بِهِ أَصْحَابه، فَقَالَ: دَعوه. فَقَالَ: اقْرَأ مَــا بعْــدهَا ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾[الزمــر:٣٥]، وَهَــذَا يَقْتَضِــي أَن

[١] إنباء الغمر بأبناء العمر(٨١/٤) والضوء اللامع لأهل القــرن التاســع (٣٧/١١)، ويقارن بأخبار القضاة (١١١/٢).

الْمُصدق مِمَّن لَهُ إساءات سبقت، وعَلى قَوْلك أَيهَا السَّائِل لم يكــن لعَلــيّ إساءات، فَقَطعه [1].

وفي هذا الموقف استعمل غلام الخلال سياق المقطع في الرد على هــذا الرافضي، وهو من الذكاء اللغوي إذ لم يفهمه كل الحاضرين بدلالة أنهــم همّوا به أن يؤذوه إلا أن الذكاء اللغوي قد ينهي النقاش دون مشاجرات أو منازعات.

٧ ــ وَكَانَت أم الشافعي ــ رحمهما الله ــ (١٥٠ ــ ٢٠٤ هــ) ــ رضى الله عَنْهَا ــ بِاتِّفَاق النقلَة من العابدات القانتات، وَمن أذكى الْخلق فطْرَة ، وهي التي شهِدت هي وَأم بشر المَرِيْسِيّ (٠٠٠ – ٢١٨ هــ) بِمَكَّة عِنْد القاضي، فَأَرَادَ أَن يفرق بَينهمَا؛ ليسألهما منفردتين عَمَّا شهدتا بِهِ استفسارا. فَقَالَت لَهُ أم الشافعي: أَيهَا القاضي لَيْسَ لَك ذَلِك؛ لِأَن الله تَعَالَى يَقُول ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] فَلم يفرق بَينهمَا.

قال تاج الدين السبكي(ت٧٧١ هــ): وَهَذَا فرع حسن، وَمعنى قوى، واستنباط جيد، ومنزع غَرِيب، وَالْمَعْرُوف في مَذْهَب وَلَدهَا ــ رضى الله عَنهُ ــ إِطْلَاق القَوْل بِأَن الْحَاكِم إِذا ارتاب بالشهود اسْتُحبَّ لَهُ التَّفْرِيق بَينهم، وكلامها ــ رضى الله عَنْهَا ــ صَرِيح في اسْتِثْنَاء النِّسَاء للمنزع الذى ذكرته، وَلَا بَأْس بِهِ[2].

---

[1] المقصد الأرشد (١٢٦/٢).

[2] طبقات الشافعية الكبرى(١٧٩/٢).

وفي قراءتي التخفيف والتثقيل[1] إشعار بتصنيف النساء صنفين في رتبة هذه الشهادة من يلحقها الضلال عن بعض ما شهدت فيه حتى تذكر بالتخفيف ولا يتكرر عليها ذلك ومن شأنها أن يتكرر عليها ذلك، وفي إبهامه بلفظ إحدى أي من غير اقتصار على الضمير الذي يعين ما يرجع إليه إشعار أن ذلك يقع بينهما متناوباً حتى ربما ضلت هذه عن وجه وضلت تلك عن وجه آخر فأذكرت كل واحدة منهما صاحبتها فلذلك يقوم بهما معاً شاهد واحد حافظ [2]، وَهَذِهِ حَيْطَةٌ أُخْرَى مِنْ تَحْرِيفِ الشَّهَادَةِ وَهِيَ خَشْيَةُ الِاشْتِبَاهِ وَالنِّسْيَانِ لأنّ الْمَرْأَة أَضْعَف مِنَ الرَّجُلِ بِأَصْلِ الْجِبِلَّةِ بِحَسَبِ الْغَالِبِ، وَالضَّلَالُ هُنَا بِمَعْنَى النِّسْيَانِ[3].

٨ ــ ويقرب من هذا أيضاً أن بعض الملوك حاصر بعض البلاد، وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد، فكتب الملك المحاصر إلى صاحب البلد كتاباً يشير إليه بأنه يسلم البلد إليه ولا يقاتله، وذكر ما جاء به من الرجال والأموال والآلات، ومن جملة الكتاب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٨]

فلما وصل الكتاب إلى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه، قال: من يجاوب عن هذا؟ فقال بعض الكتاب: تكتب إليه ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن

(١) قرأ ابن كثير والبصريان (فتذكر) بتخفيف الكاف، والباقون بالتشديد (تقريب النشر في القراءات العشر ٤٧٧/٢).

(٢) نظم الدرر (١٥٤/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠٩/٣).

قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩] فاستحسن الحاضرون جوابه [١]، وهذا من الذكاء اللغوي على مستوى سياق المقطع أو النص.

٩ــ ومن الذكاء اللغوي في الاستدلال بسياق النص في مسائل العقيدة ما تكلم غَيْلان القَدَري[٢](٠٠٠ – بعد ١٠٥ هـ) في خلافة يزيد بن عبد الملك (٧١ – ١٠٥ هـ)، فلما مات يزيد أرسل إليه هشام (٧١ – ١٢٥ هـ): ألست كنت عاهدت الله لِعُمَرَ (٦١ – ١٠١ هـ) أنك لا تكلّم في شيءٍ من كلامك؟ قال: أقلني يا أمير المؤمنين، قال: لا أقالني الله إن أنا أقلتك يا عدو الله! أتقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] ، قال: قف يا عدو الله، على ما تستعين الله، على أمرٍ بيدك أم على أمرٍ بيده؟ ....[٣].

١٠ــ ومن الاستدلال بسياق السورة ما روي عن عمرو بن مهاجر قال: بلغ عمر بن عبد العزيز (٦١ – ١٠١ هـ) أن غيلان، يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أياما، ثم أدخله عليه، فقال: يا غيلان «ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه ألا يقول شيئا قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله , قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا

---

[١] وفيات الأعيان (١٥٦/٦) وعيون الأخبار (٢١٤/٢).

(٢) غيلان بن مسلم الدمشقي، ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني، كان يقول بالقدر خيره وشره من العبد (الأعلام ١٢٤/٥).

[٣] تاريخ دمشق (٢٠٩/٤٨).

هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] قال: اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإنسان: ٣١] [1].

[1] سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين (٥٢/١).

سادسا: المستوى التداولي

التداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق[١]، فالمتكلم والسامع طرفا العملية التواصلية لا يصنعان المعنى فحسب بل يصنعان البنية اللغوية التركيبية أحيانا عن طريق باب مهم من أبواب اللغة، وهو الحذف والتقدير، فحين يقول أحدهم لمن رآه قاصدا في هيئة الحاج: " مكةَ وربَّ الكعبة" فقد شارك المتكلم والسامع في الحذف (حذف الفعل والفاعل في الجملة، والتقدير: يريد مكة ورب الكعبة) في البنية اللغوية التركيبية لعلم كل منهما والاكتفاء بتوصيل المعنى عن طريق هذه الصيغة، وقد تحصل المعنى[٢]، أي: أنها تركز اهتمامها على الخطاب بوصفه ملفوظا، يوجّه من مخاطب محدد إلى مخاطب محدد، في مكان وزمان محددين.

ومن أمثلة الذكاء اللغوي على المستوى التداولي:

أ ــ قَالَ الْمُبَارك بْن أَحَمَّد بْن الْأُخوة: خرج رجل على سَبِيل الفُرْجَة ــ يَعْنِي من بَغْدَاد ــ فَقعدَ عَلَى الجسر، فَأَقْبَلَت امْرَأَة من جِهَة الرُّصَافَة[٣]، موجهة إِلَى الْجَانِب الغربي، فَاسْتَقْبلهَا شَاب، فَقَالَ لَهَا: رحم اللَّه عَلِيّ بن الجَهْمِ (٠٠٠ – ٢٤٩ هـ). فَقَالَت الْمَرْأَة: رحم اللَّه أَبَا الْعَلَاء المَعَرِّيّ

---

[١] البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: د. قدور عمران (ص ٧) عالم الكتب الحديث، إربد ــ الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

[٢] التداولية بين النظرية والتطبيق: د. أحمد كنون (ص٤٣)، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦. هـ =٢٠١٥م.

[٣]الرُّصَافَةُ: مَحَلَّةٌ بِبَغْدَادَ بالشَّرْقِيَّةِ، بهَا تُرَبُ أَكْثَرِ الخُلَفَاءِ، وبِقُرْبِهَا مَشْهَدُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ¬ تعالَى(تاج العروس: ر ص ف).

(٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) ، وَمَا وَقفا وَمَرا مشرقة ومغربا، فتبعت الْمَرْأَة، وَقلت: إِن لم تقولي مَا قَالَ لَك فضحتك ؛وتعلقت بهَا، فَقَالَت: أَرَادَ الشَّاب قَول عَلِيّ بْن الجهم:

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا

وَأَرَدْت أَنا قَول المَعَرِّيّ:

فَيَا دَارُهَا بالْخِيفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونُ ذَلكَ أَهْوَالُ

وقد ذكر نور الدين اليوسي (ت:١١٠٢هـ) ذلك من"الذكاء والفطنة"[٤].

ب ــ وَحكي أَن تَاجِرًا سَافر من مصر بعبدين، فأرادا قَتله فِي الطَّرِيق، فَقَالَ لَهما: قولا لبنتي إِذا دخلتما مصر: قَالَ لَكمَا أَبُوكمَا:

من مبلغ بنْتِي عني أنني للهِ دَرُّكُمَا ودَرُّ أَبيكُمَا [٥]

فحفظاه، ثمَّ قتلاه ورجعا إِلَى مصر! فَلَمَّا كَانَ بعد مُدَّة تذكرا وَصيته، فجاءا إِلَى بَيت بنتيه، فَقَالَا لإِحداهما الْبَيْت، فطلعت من بَاب الغرفة إِلَى عِنْد أُخْتهَا، فحكت لَهَا الْحِكَايَة، فَقَالَت: أَواه إِن أَبَانَا لمقتول. قَالَت: وَمن أَيْن لَك؟ قَالَت: إِنَّه يُشِير إِلَى قَول الشَّاعِر:

---

[١] البيت من الطويل لعلي بن الجهم في ديوانه (ص ١٤١).

[٢] البيت من الطويل لأبي العلاء المعري في سقط الزند (ص ٢٢٩).

[٣] معجم الأدباء (٣٢٤/١) والأذكياء لابن الجوزي (ص٢٢٣) وطبقات الشافعية الكبرى (٢٧٩/١)وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: لابن ناصر الدين (١٩٧/٤) .

[٤] زهر الأكم في الأمثال والحكم (١١٧/١)

[٥] البيت من الطويل .

مَن مبلــغٌ بنْتــيَّ عنــيَ أنّنــي أَصبَحتُ مقتولَ الفــلاةِ مُجَنْــدَلَا
للـــــهِ دَرُّكُمَـــا ودَرُّ أَبيكُمَـــا لَا يُفْلِــتُ العبــدان حَتَّــى يُقْتَلَــا

فَأُخذ العبدان، واستقرّا فأقرا بقتْله [1].

حين نتحدث عن الذاكرة في الفكر العربي القديم نلاحظ أن الدارسين العرب قد كانت لهم إشارات عديدة ارتبطت بمفهوم الحفظ (التخزين) والاسترجاع[2]، قال ابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢ هـ): يَنبغي للشاعر أن" يُديم النَّظَرَ فِي الْأَشْعَار الَّتِي قد اخترنَاهَا لتَلصَق مَعَانِيهَا بفَهْمِهِ، وتَرْسَخَ أصُولها فِي قَلْبهِ، وتَصِيرَ موادَّ لطَبْعهِ، ويَذُوبَ لِسَانُهُ بألفَاظِها، فَإِذا جاشَ فِكرهُ بالشِّعر أدَّى إِلَيْهِ نتائجَ مَا استفاده مِمَّا نَظَر فِيهِ من تِلْكَ الأشْعار، فكانَتْ تِلْكَ النَّتيجةُ كسبيكَةٍ مُفْرَغَةٍ من جَميعِ الأصْنَافِ الَّتِي تُخْرِجُها المَعَادن، وكما قد اغترَفَ من وادٍ قَدْ مَدَّتْهُ سيول جَارِيَة من شعَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، وكَطِيبٍ تَركَّبَ عَن أخلاطٍ من الطِّيب كثيرةٍ فَيَستْغرِبُ عِيانُهُ، ويَغْمُضُ مُسْتَبطَنُهُ ويذهبُ فِي ذَلك إِلَى مَا يُحْكَى عَن خَالد بن عبد الله القَسْريِّ فَإِنَّهُ قَالَ: حَفَّظَني أبي أَلْفَ خُطبَةٍ ثمَّ قَالَ لي: تناسَهَا، فتناسيْتُهَا، فَلم أُرِدْ بَعْدُ شَيْئا من الْكَلَام إلاّ سَهُلَ عليَّ، فَكَانَ حِفْظُهُ لتِلْك الخُطَب رياضَةً لفَهْمِهِ، وتَهْذيباً لطَبْعِهِ وتلقيماً لذهنِهِ، ومادَّةً لفصاحَتهِ، وسبَبَاً لبلاغَتهِ ولَسَنهِ وخَطَابتهِ" [3].

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى (٢٧٩/١) وينظر: شعراء النصرانية (١٧١/٢) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (ص٣٠٨).

[2] ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى (ص٣٩١).

[3] عيار الشعر (ص١٤).

وإن كان من باب آخر – أن المعتمد (٤٣١ – ٤٨٨ هـ) مر مع وزيره ابن عَمَّار (٤٢٢ – ٤٧٧ هـ) ببعض أرجاء إشبيلية، فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط، فكشفت وجهها، وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون به الجبس والجيارين الصانعين للجير، بإشبيلية، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين، وقال: يا ابن عمار الجيارين، ففهم مراده، وقال في الحال: يا مولاي والجباسين، فلم يفهم الحاضرون المراد، وتحيروا، فسألوا ابن عمار، فقال له المعتمد: لاتبعها منهم إلا غالية، وتفسيرها أن ابن عباد صحف " الحَيَا زَيْن " بقوله "الجيارين" إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت، فقال له "والجباسين" وتصحيفه " والخنا شَيْن " أي: هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها، وهذا شأو لا يلحق[١].

تلك مهارة لغوية عالية في توجيه الكلام مع ملاحظة أن دور ابن عمار فيها كان أقوى وأظرف من دور ابن عباد، إذ هو مَن وقع عليه عبء الجواد والردّ [٢]، وفي هذه المحاورة تظهر المفاهيم التي تقوم عليها التداولية.

ويكاد يتفق معجم الدارسين والباحثين على مجموعة من المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، ويرتبونها على النحو التالي: (الإشاريات ــ الافتراض السابق ــ الاستلزام الحواري ــ الأفعال الكلامية)، وتنقسم

---

[١] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤/٢٦٠.

[٢] الظرف والظرفاء في الأندلس، قراءة الشخصية الأندلسية: د. خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت، العدد ١٧٥، يوليو ــ سبتمبر ٢٠١٨م. ص٢٢٢.

الإشاريات إلى خمسة أنواع: (الإشاريات الشخصية ، الإشاريات الزمانية ، الإشاريات المكانية ، الإشاريات الخطابية، الإشاريات الاجتماعية)، والمتكلم يوجه حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له، ونلحظ دور الافتراض السابق من خلال أربعة جوانب: سياق الحال – التقديم تداوليا – الحذف تداوليا – الافتراض السابق بين مضمون الخطبة والموقف.

ولتحقيق الاستلزام الحواري يأخذ المتكلم بعين الاعتبار المعطيات الآتية: المعنى الحرفي للكلمات المستعملة وتعريف العبارات الإحالية، ومبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، والسياقان اللغوي وغير اللغوي للخطاب، وعناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية، ويجب على المساهمين في الحوار أن يكونا على علم بالمعطيات الآنفة الذكر، وأن يصدرا أثناء عملية التحاور عن افتراض هذه المعطيات .

وفحوى مفهوم الأفعال الكلامية أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازيا، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول[1].

[1] ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق: د. أحمد كنون (ص ٦٩ ــ ٨٧) (بتصرف) .

سابعا: المستوى الخطي

لَا شَكَّ أَنَّ الْكِتَابَةَ دَالَّةٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ[١]، والإفهام يكون في المكتوب كما يكون في اللغوي المباشر، وفق سننهم التعبيرية والأدائية وأساليبهم النظمية، دون تكلف مفرط أو تساهل مجحف[٢]، " وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله ﷻ يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه. بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب" [٣].

قال أَبُو ثَوْرٍ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ(ت٢٠٤ هـ) – وَكَانَ مِنْ مَعَادِنِ الفِقْهِ، ونُقَّادِ المَعَانِي، وَجَهَابِذَةِ الأَلْفَاظِ – يَقُوْلُ: حُكْمُ المَعَانِي خِلاَفُ حُكْمِ الأَلْفَاظِ، لأَنَّ المَعَانِي مَبْسُوْطَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ، وأَسْمَاءُ المَعَانِي مَعْدُوْدَةٌ مَحْدُوْدَةٌ، وَجَمِيْعُ أَصْنَافِ الدَّلاَلاَتِ عَلَى المَعَانِي لَفْظاً وَغَيْرَ لَفْظٍ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: اللَّفْظُ، ثُمَّ الإِشَارَةُ، ثُمَّ العَقْدُ، ثُمَّ الخَطُّ، ثُمَّ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَةُ، وَالنَّصبَةُ فِي الحَالِ الدَّلاَلَةُ الَّتِي لاَ تَقُوْمُ مَقَامَ تِلْكَ الأَصْنَافِ وَلاَ تَقصُرُ عَنْ تِلْكَ الدَّلاَلاَتِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الخَمْسَةِ صُورَةٌ بَائِنَةٌ مِنْ صُورَةِ صَاحِبَتِهَا، وَحِلْيَةٌ مُخَالِفَةٌ لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا، وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ أَعْيَانِ المَعَانِي فِي الجُمْلَةِ، وَعَنْ

---

[١] مفاتيح الغيب (١٤٢/١).

[٢] أسس الاتصال الفعال عند الجاحظ(ص٤١).

[٣] البيان والتبيين (٨١/١).

خَفَائِهَا عَنِ التَّفْسِيْرِ، وَعَنْ أَجْنَاسِهَا وَأَفرَادِهَا، وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا، وَعَنْ طِبَاعِهَا فِي السَّارِّ وَالضَّارِّ، وَعَمَّا يَكُوْنُ بَهْواً بَهْرَجاً، وَسَاقِطاً مُدَحْرَجاً[1].

وفي السنة النبوية إشارات لما قد يؤديه الخط من توسع في الدلالة مرادة أو غير مرادة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[2].

قال الرَّافِعِيّ(٥٥٧ – ٦٢٣ هـ): إِنَّمَا قَالَ «مائَة إِلَّا وَاحِدًا» ا لِئَلَّا يتَوَهَّم أَنه على التَّقْرِيب، وَفِيه فَائِدَة رفع الِاشْتِبَاه؛ فقد يشْتَبه فِي الْخط تِسْعَة وَتسْعُونَ بسبعة وَسبعين[3]، وقال الملا علي القاري(ت١٠١٤ هـ): وَفَائِدَتُهُ التَّأْكِيدُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْمَنْعِ عَنِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلِئَلَّا يَلْتَبِسَ " تِسْعَةً وَتِسْعِينَ " بِسَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ بِتَقَدُّمِ السِّينِ فِي الْأَوَّلِ، أَوْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ بِتَقْدِيمِ السِّينِ فِيهِمَا، أَوْ تِسْعَةٍ وَسَبْعِينَ بِتَقَدُّمِ السِّينِ فِي الثَّانِي مِنْ زَلَّةِ الْكَاتِبِ وَهَفْوَةِ الْقَلَمِ، فَيَنْشَأُ الِاخْتِلَافُ فِي الْمَسْمُوعِ مِنَ الْمَسْطُورِ، فَأَكَّدَهُ بِهِ حَسْمًا لِمَادَّةِ الْخِلَافِ وَإِرْشَادًا لِلِاحْتِيَاطِ فِي هَذَا الْبَابِ، أَوْ لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ بِمَعْنَى " أَوْ " نَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩٦] [4].

---

[1] سير أعلام النبلاء (٥٢/١٠).

[2] صحيح البخاري (٢٧٣٦/١٩٨/٣).

[3] طبقات الشافعية الكبرى (٢٨٥/٨).

[4] مرقاة المفاتيح (٢٢٨٧/١٥٦١/٤).

ومن الذكاء اللغوي على المستوى الصوتي:

أ ــ أهدى علي بن هشام إلى المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ) جاريةً اسمها «صرف» حين أحس بتغيره عليه، وأمرها أن تكتب إليه بما عسى أن تحس به من ذلك إليه؛ فوقف يوماً بين يديه فسقطت منه رقعة، فأخذها المأمون فإذا فيها: « يا موسى، يا موسى » ليس شيء غير ذلك. فقال المأمون لجلسائه: أيكم يعلم إيماء هذه الرقعة – فكلهم قال: لا أدري. فقال: هذه كتبت من قصري، تخوف هذا الرجل بادرتي، أراد كاتبها قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[القصص:٢٠] ثم حذف إخفاء، وكرَّر توكيداً. فبحث عن أمر الرقعة فإذا هي لصرف[١].

إن العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به[٢]، ويشترط في الحذف، أو في المحذوف أن يكون مما يمكن أن يعلمه المخاطب، وألا يترتب عليه تشويش دلالي.

والتشويش الدلالي : عدم إدراك المستقبل للرسالة بنفس المعنى الذي يقصده المرسل ــ ينتج عنه عدم قدرة المستقبل على تفسير الرسالة تفسيرا صحيحا بحيث يفهمها بطريقة خاطئة، ومن أهم الحالات التي يمكن أن تحدث تشويشا دلاليا: استخدام المرسل لبعض الرموز أو المفردات التي لا يستطيع المستقبل فهمها بسهولة، أو يفهمها بطريقة خاطئة، أو احتواء

---

[١]الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤٦٧/١.

[٢]مجاز القرآن (١٠٠/١).

الرسالة على موضوعات وأفكار فوق مستوى فهم المستقبل، أو عدم وضوح هدف المرسل بشكل كاف[١].

ب ــ كان سَدِيْدُ المُلْكِ(ت٤٧٥ هـ) [٢] موصوفاً بقوة الفطنة، وتنقل عنه حكاية عجيبة، وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شَيْزَرَ[٣]، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس، فجرى أمرٌ خاف سديدُ الملك على نفسه منه، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار، فأقام عنده، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين علي بن النماس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه، ففهم الكاتب أنه يقصد له شراً، وكان صديقاً لسديد الملك، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى «إنْ شاء الله تعالى» فشدد النون وفتحها، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه، فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه، فقال سديد الملك إني أرى في الكتاب ما لا ترون، ثم أجابه عن

---

[١] أسس الاتصال الفعال عند الجاحظ (ص٦٣).

[٢] الأَمِيْرُ، سَدِيْدُ المُلْكِ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُنْقِذِ بنِ نَصْرِ بنِ مُنْقِذٍ الكِنَانِيُّ، صَاحِبُ شَيْزَرَ، كَانَ بَطَلاً شُجَاعاً، جَوَاداً، فَاضِلاً، أَوَّل مَنْ مَلك شَيْزر مِنْ بَيْته؛ لأَنَّه كَانَ نَازلاً فِي عَشِيرَته هُنَاكَ، وَالحِصنُ فِي يَد الرُّوْم، فَنَازلهُم، وَتسلَّمه بِالأَمَان فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِيْنَ، وَدَام لبَنِيه حَتَّى تَهدم مِنَ الزَّلْزَلَةِ سَنَة اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ وَخَمْسِ مائَة، وَهلك مَنْ بِالحصن مِنْ آل مُنْقِذ، فَعمَّره نور الدِّيْن، وَكَانَ لِسَدِيْد المُلك نَظمٌ رَائِق وَفِطْنَةٌ وَذكَاء .. تُوُفِّيَ سَدِيدُ المُلك: سَنَة بِضْع وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة فَقِيْلَ: سَنَة خَمْسٍ، وَقِيْلَ: سَنَةَ تِسْع. (سير أعلام النبلاء ٥٥٣/١٨).

[٣] هي اليوم أنقاض مدينة سورية على العاصي شمالي مدينة حماة فيها قلعة مشهورة.

الكتاب بما اقتضاه الحال، وكتب في جملة الكتاب « أنا الخادم المقر بالإنعام » وكسر الهمزة من «أنَا» وشدد النون، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه، وقال لأصدقائه: قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك، وقد أجاب بما طيب نفسي؛ وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:٢٠]، فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَآ﴾[المائدة:٢٤]، فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه [١].

ومن هنا يجب النظر إلى الاتصال ضمن خمسة مفاهيم أساسية في أقل تقدير وكما يلي:

١ ــ أن الاتصال عملية دلالية(سيميائية) تعتمد على الرموز وعلى قواعد الاستخدام التي يمكن اختيارها من قبل جماعة لغوية معينة.

٢ ــ أن الاتصال عملية عصبية يتم فيها تسجيل معانٍ ورموز معينة في ذاكرة الأفراد، ويتم استعادتها عند الحاجة.

٣ ــ أن الاتصال عملية نفسية؛ حيث يكسب الأفراد من خلال التعلم معاني الكلمات ومعاني غيرها من الرموز، وتؤدي مثل هذه المعاني دورا أساسيا في إدراك العالم والاستجابة له.

٤ ــ أن الاتصال عملية ثقافية، واللغة هي مجموعة من المصطلحات والأعراف الثقافية المتفق عليها، أي أن اللغة في أي مجتمع هي مجموعة

---

[١] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤١٠/٣ وينظر: فوات الوفيات ٢٢١/٢ والوافي بالوفيات ٢٧١/١٧ ومحاضرات الأدباء ١٨٢/١.

من المواقف والإشارات والرموز مرتبة بشكل معين، بحيث يكون لها تفسيرات مشتركة متفق عليها بين أفراد المجتمع.

٥ ــ أن الاتصال عملية اجتماعية ــ وهو الوسيلة الأساسية التي يستطيع الكائن الحي بواسطتها أن يتفاعل بأشكال لها معنى، وهكذا فمن خلال التبادل الرمزي يستطيع الأفراد أداء الأدوار وفهم قيم الجماعة وتطبيق الأعراف الاجتماعية وتقييم أفعال الآخرين وذلك ضمن نظام القيم المشتركة.

والبيان بوصفه ممارسة هو عملية إنسانية تعني: إرسال رسالة مقصودة، لها مضمون ما، يتوقع منها إحداث أثرٍ ما، وبُنيت وفق سنن اللغة المتخاطب بها إلى متلقٍ، بما يؤدي إلى إفهامهم مضمون تلك الرسالة[١].

ويمكننا بعد ذلك اعتبار المهارة اللغوية وعاء ضم أنواعا من الذكاء: الذهني، واللغوي، والاجتماعي.

ج ــ لمّا بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بالعهد، تخلّف رجل مذكور من الفقهاء، فأحضره وقال له: لم تخلّفت عن البيعة؟ قال: عاقني يا أمير المؤمنين عائق. فأمر بقراءة كتاب البيعة، فلما قرئ قال: يا أمير المؤمنين،

---

[١] أسس الاتصال الفعّال عند الجاحظ (مقاربة في ضوء معطيات علم الاتصال الحديث) د. أمين عبد الله محمد اليزيدي، د. علي أحمد اليزيدي الحاوري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة٤٥٨، الحولية ٣٧، ١٤٣٨ هـ =٢٠١٧ م ص٣٥.

هذه البيعة في عنقي إلى قيامي الساعة، فلم يفهم الرشيد ما أراد وقدّر أنّه إلى قيام الساعة، وذهب ما كان في نفسه(١).

د ــ وروى يموت ابن المزرع قال: كان أَحْمَدُ بنُ المُدَبِّرِ(ت ٢٧٠ هـ تقريبا) إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة، ثم خلّه؛ فتحاماه الشعراء، إلا الأفراد المجيدين؛ فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل، فاستأذنه في النشيد، فقال: قد عرفت الشّرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أردنَا فِي أبي حسنٍ مديحاً كَمَا بالمدح تنتجع الْوُلَاة

فَقُلْنَا أكْرم الثقلَيْن طرّاً . وَمن كفّاه دجلة والفرات

فَقَالُوا يقبل المدحات لَكِن جوائزه عَلَيْهنَّ الصَّلَاة

فقلت لهم: وما تغني صلاتي عيالي! إنما الشأن الزّكاة

فأما إذ أبى إلا صلاتى وعاقتنى الهموم الشاغلات

فيأمر لي بكسر الصّاد منها فتصبح لي الصّلاة هي

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام الطائي:

هنّ الحمام فإن كسرت عيافة من حائهنّ فإنهنّ حمام(٢)

فأحسن صلته (٤).

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢٢٢/٨).

(٢) من الوافر

(٣) من الكامل

(٤) زهر الآداب (٤٣٩/١) والوافي بالوفيات(٢٧/٨).

وبعد فقد بان لنا أن الوظيفة الأساس للغة هي إقامة التواصل بين متكلميها، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ):" الدلالةُ على الشيء هي لا محالة إِعلامُك السامعَ إِياه، وليس بدليلٍ ما أنتَ لا تعلمُ به مدلولاً عليه. وإِذا كان كذلك، وكان مما يُعْلم ببدائه المعقولِ أن الناسَ إِنما يكلِّم بعضُهم بعضاً ليعرفَ السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن يَنْظُرَ إِلى مقصودِ المُخْبر من خبره، ما هو؟ " (١).

وقد تناول علماء اللغة والمفسرون مقاصد الاستعمال في ضوء القرائن السياقية، ما تقتضيه قرائن الأحوال، وما يترتب على هذا من معنى سياقي يغاير المعنى الظاهر، فقد تتغير دلالة الأسلوب بتغير طريقة الإلقاء ونبرة الصوت، والنغمة التي قيل بها، فقد يتغير المقصد من أسلوب الأمر ، فيراد به غير ظاهر اللفظ، وهكذا تختلف الأساليب باختلاف القرائن الحالية والظروف المحيطة، وعلاقته بالحدث والسياق الذي ورد فيه الحديث، من هذا يتضح أن موافقة قصد المتكلم ووصوله إلى السامع أساس قبول الملفوظ، وأنه يمكن القول إن اللغة ليست منظومة من القواعد المجردة من المعنى والدلالة المقترنين بما في نفس المتكلم، وإنما اللغة : لفظ معين يؤديه متكلم معين في سياق ومقام معينين وموجه إلى مخاطب معين لأداء غرض تواصلي معين(٢).

---

(١) دلائل الإعجاز (ص٥٣٠) .

(٢) القصدية في الدرس اللغوي: د. أحمد إسماعيل عبد الكريم، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٢٧) ذو القعدة ١٤٣٨ هـ = أغسطس ٢٠١٧م، ص(٦٢) .

الخاتمة

وبعد هذه المعايشة مع صور من الذكاء اللغوي لأعلامنا القدامى في ضوء مستويات اللغة، يمكن للبحث أن يضع بين يدي القارئ الكريم أهم الحقائق والنتائج التي توصل إليها:

❖ الذكاء اللغوي هو القدرة على استخدام الرموز والأساليب اللغوية اعتمادا على مخزون الكلمات والدلالات للتعبير عن الأفكار والمواقف والاتجاهات.

❖ لا شك أن الذكاء مطلوب في كل المجالات العلمية والحياتية، والقراءة الواعية للتراث اللغوي تحتاج إليه، فالذكاء اللغوي، هو القدرة على معالجة البناء اللغوي والاستخدام العلمي للغة، ويعد الذكاء اللغوي أحد أنواع الذكاءات المهمة؛ إذ يكون الإنسان المتمتع بهذا النوع من الذكاء قادرا على التواصل الاجتماعي مع الآخرين، عن طريق اللغة.

❖ أشار علماؤنا القدامى إلى الملامح الفارقة بين الذكاء والفطنة على النحو الاتي:

ــ الذكاء تمام الفطنة، ففيه معنى زائد عليها.

ــ الذَّكَاء هُوَ الْمُضَاءُ فِي الْأَمْرِ وَسُرْعَةُ الْقَطْعِ بِالْحَقِّ، والْفِطْنَةُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّنَبُّهِ لِشَيْءٍ قُصِدَ تَعْرِيضُهُ.

ــ الذَّكَاءُ كمال في العقل وَضِدُّهُ الْبَلَادَةُ ، والْفَطِنَةُ السُّرْعَة فِي الِانْتِقَالِ مِنْ الْمَبَادِئِ إلَى الْمَطْلُوبِ دُونِ النُّقْصَانِ فِي الْكَمِّ وَالْكَيْفِ، وَضِدُّهَا الغباوة.

❖نوّه القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الذكاء اللغوي، وتراثنا العربي يزخر بأمثلة وصور متعددة، جلها ذكاء لغوي ممدوح، والقليل منه في سياقات غير مقبولة.

❖اعتمد أصحاب الذكاء اللغوي على طرائق تعبيرية أساسها الحذف، والتقديم والتأخير، والإيجاز، والتعابير المجازية التي تتطلب فطنة وحذاقة، ملمة بأسرار اللمحة الدالة والومضة البارقة.

❖يجدر بنا أن نطلع على خبرات وتجارب الماضين؛ فإنها مشحونة بالكثير والكثير الذي يكسب الخبرات والتجارب وينمي المواهب والقدرات.

❖تحظى القدرات اللغوية بأهمية بالغة في مختلف المجتمعات باعتبارها ذات قيمة معرفية واجتماعية، كما تعد أيضا أدوات لتطوير معظم القدرات العقلية والكفايات التعليمية الأخرى.

❖ الْعَرَب أُمَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى ذَكَاءِ الْقَرَائِحِ وَفِطْنَةِ الْأَفْهَامِ، فَعَلَى دِعَامَةِ فِطْنَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ أُقِيمَتْ أَسَالِيبُ كَلَامِهِمْ، وَبِخَاصَّةٍ كَلَامُ بُلَغَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِيجَازُ عَمُودَ بَلَاغَتِهِمْ لِاعْتِمَادِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ كَمَا يُقَالُ: لَمْحَةٌ دَالَّةٌ، لِأَجْلِ ذَلِكَ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ الْمَجَازُ، وَالِاسْتِعَارَةُ، وَالتَّمْثِيلُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالتَّعْرِيضُ، وَالِاشْتِرَاكُ ....

❖يمكننا تصنيف مظاهر الذكاء اللغوي إلى : **الذكاء اللفظي**، وهو ما يتجلى في العناية بمعاني المفردات وإدراك الفروق الدقيقة بينها، وكيفية التلاعب بالألفاظ، والقدرة على معرفة المعنى الواحد باختلاف الكلمات المعبرة عنه، **والذكاء العملي**، أو قدرة حل المشكلات، والتي تعتمد على إدراك المشكلة وسرعة الاستجابة لها، على شاكلة أجوبة مسكتة مستظرفة، تنطوي على فطنة وذكاء.

❖ يحرص منتجو هذا النوع من الخطاب على الصياغة الدقيقة التي تتدخل في تشكيلها الأبعاد اللغوية والبلاغية والثقافية والنفسية والدينية، مع الحرص على السلاسة في الخطاب الممعن في الإغراق .

❖ تشكل هذه الدراسة جانبا أساسيا في فهم مفهوم الثقافة العربية الإسلامية عن الذكاء، الذي تراكم عبر نطاق زمني واسع تمتد لأربعة عشر قرنا وعلى مساحة جغرافية شاسعة..

❖ أكدت لنا المحاورات اللغوية في المستوى الصوتي أن تعاقب السين والصاد ليس على إطلاقه ، وإنما هو مقيد ببعض الصوامت التي اشترطها اللغويون.

❖ المحاورات اللغوية على المستوى الصرفي ترجح لنا ما ذهب إليه اللغويون من التفرقة الدلالية بين (قسط) و(أقسط) وترد ما ذهب إليه البعض من القول بترادف الصيغتين.

❖ القصد في بعض مواقف الذكاء اللغوي هو غاية المتكلم باعتباره المرجعية، وليس ما يفهمه المتلقي، وهذا ما أشار إليه بعض أعلامنا القدامى حيث نصوا على أن " الألفاظ إنما تحمل على ما يعلم من قصد المتكلم بها".

❖ عدّ نشوان الحمير ي(ت٥٧٣ هـ) الذكاء اللغوي في استعمال الحركات من فضائل العلم والمعرفة باللغة العربية.

❖ الإلغاز مظهر من مظاهر الذكاء؛ لأنه لا يتوقف عليه بدلالة اللفظ، وإنما بالذكاء والفطنة والذهاب في شعاب خفية من الاستنباط لانحرافه عن نمط الكلام.

❖دعانا القرآن الكريم إلى النظر في الألفاظ وحسن انتقائها في مخاطباتنا وأحاديثنا، فهي الطريقة المعهودة في القرآن الكريم والسنة النبوية

❖الاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير، ورواية كثيرة، وفهم وذكاء كبير، وبمعرفة مقدمات الكلام، وما يصلح أن يأتي بعدها، مما يشاكلها.

❖مواقف الذكاء اللغوي على مستوى السياق جلها يعتمد السياق القرآني بمفهومه الواسع، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع: النوع الأول: سياق القرآن. النوع الثاني: سياق السورة. النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات. النوع الرابع: سياق الآية ، وقد تنوعت مواقف الذكاء اللغوي في التراث وفق معظم هذه الأنواع.

❖الذكاء اللغوي على المستوى التداولي يأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق، فالمتكلم والسامع طرفا العملية التواصلية، وقد يفهمان المعنى المراد ويغيب عن جل الحاضرين.

❖ ويوصي البحث أن تقوم كليات اللغة العربية في جامعة الأزهر الشريف باستقراء واستنطاق مظاهر الذكاء اللغوي في تراثنا العربي على مدار القرون السابقة من خلال رسائل علمية تجمع هذا التراث وتضبط معالمه وتبرز مزاياه.

والحمد لله أولا وآخرا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

الأجوبة المسكتة: ابن أبي عون إبراهيم بن محمد بن أحمد(ت٣٢٢ هـ)، دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

أخبار الأذكياء: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي(ت: ٥٩٧ هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٤ هـ =٢٠٠٣م.

أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث – طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩م.

أسس الاتصال الفعّال عند الجاحظ (مقاربة في ضوء معطيات علم الاتصال الحديث): د. أمين عبد الله محمد اليزيدي، د. علي أحمد اليزيدي الحاوري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة٤٥٨، الحولية ٣٧، ١٤٣٨ هـ =٢٠١٧ م.

أطر العقل، نظرية الذكاءات المتعددة: هوارد غاردنر، ترجمة: د. محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠٤م.

إنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر

العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.

بدائع الفوائد: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٣٣ هـ.

البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

تاج العروس من جواهر القاموس :للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥ه)، تحقيق: علي هلالي ، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ه) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤، ١٩٩٠م.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥: ٦٥٤ هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

التحرير والتنوير= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ه): الدار التونسية للنشر ، تونس: ١٩٨٤م.

التداولية بين النظرية والتطبيق: د. أحمد كنون ، دار النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦. هـ =٢٠١٥م.

التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

تربويات المخ البشري: محمد عبد الهادي حسين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م.

التسهيل لعلوم التنزيل : للعلامة المفسر أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولى – ١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨م.

تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤ هـ) ، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

تقريب النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد

رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣ هـ.

تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي ، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/١٩٩٦م.

الخصائص : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

درة الغواص في أوهام الخواص : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨ هـ .

دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دائرة المكتبات والوثائق المدنية، عمّان، ط١، ١٤٠٩ هـ.

الذكاء الإنساني، اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية: د. محمد طه، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٣٣٠، أغسطس ٢٠٠٦م.

الذكاء اللغوي لدى طلبة المرحلة الإعدادية: حيدر كريم سكر، هلة وليد غانم، مجلة البحوث التربوية والنفسية، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، العدد ٣١.

الذكاء اللغوي وحل المشكلات لدى عينة من الأطفال المغاربة بالتعليم الابتدائي: د. محمد أمزيان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد٩، العدد٢، يونيو ٢٠٠٨م.

الذكاء الوجداني وقدرته التنبؤية في ضوء علاقته بسمات الشخصية وبعض القدرات العقلية: د. ربيع عبده أحمد رشوان، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد ٤، العدد١، محرم ١٤٣٢ هـ= يناير ٢٠١١م

الذكاءات المتعددة والفهم، تنمية وتعميق: جابر عبد الحميد جابر، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٣م.

الذكاءات المتعددة وتطبيقاتها في السنة النبوية، دراسة تأصيلية نقدية: د. حمزة عبد الكريم محمد حماد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد٩٤، السنة ٢٨، شوال ١٤٣٤ هـ/ سبتمبر ٢٠١٣م.

روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار : محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت: ٩٤٠ هـ) ، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨ هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

سر صناعة الأعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) دراسة وتحقيق :د. حسن هنداوي ،دار القلم، دمشق،ط١ ،١٩٨٥م.

السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية :د. سعيد بن محمد الشهراني(رسالة دكتوراه) كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦م.

السياق وتأويل النصوص نموذج من النص القرآني: محمد شتوان، مجلة التفاهم، تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، مسقط، السنة الثانية عشرة، العدد٤٦ ، ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر ٩٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يوليو٢٠٠٣م.

طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(٧٢٧ـ ٧٧١ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م.

الظرف والظرفاء في الأندلس، قراءة الشخصية الأندلسية: د. خالد بن عبد الكريم بن حمود البكر، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت، العدد ١٧٥، يوليو ــ سبتمبر ٢٠١٨م.

العقل واستخدام طاقته القصوى: توني بوزان، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٦م.

عيار الشعر: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي (ت: ٣٢٢ هـــ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة.

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة: لأبي إسحق برهان إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي المعروف بالوطواط (ت: ٧١٨هـــ) ، سلسلة الذخائر(٢١٥) تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م.

الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥ هـــ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

فن الألغاز عند العرب: د. محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م.

القدرات العقلية ــ خصائصها وقياسها ــ: إبراهيم وجيه محمود ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م .

لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر ــ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩ هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م.

مصطلحات تعليمية من التراث الإسلامي: د. خالد الصمدي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ إيسيسكو ــ ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ)، تحقيق: إحسان

عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عمر (ت: ١٤٢٤ هـ) ، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا: أ.د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ١٤٢١ هـ.

المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

مقاييس اللغة : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

مكر اللغة ودهاؤها: د. عبد الله أيت الأعشير، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٦٣٠ صفر ١٤٣٩ هـ/ أكتوبر نوفمبر٢٠١٧م، والعدد ٦٣٢ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ/ ديسمبر ٢٠١٧م.

ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى: صليحة شتيح ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الإدراكيات، المجلد (٤/٢٥)، العدد (١٠٠) صيف ٢٠١٧م.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).

النور السافر عن أخبار القرن العاشر: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت: ١٠٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢ هـ) ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١٩٩٤م.

ثبت الموضوعات

الموضوع
مقدمة
المبحث الأول: الذكاء اللغوي: دلالته، وأهميته، وسبل تحقيقه.
أولا: الذكاء بين الدلالة المعجمية والدلالة الاصطلاحية
ثانيا: الفروق الدلالية بين الذكاء وما يقاربه من ألفاظ.
ثالثا: أهمية الذكاء اللِّغوي.
رابعا: الذكاء اللغوي لدى العرب.
خامسا: وسائل تحقيق الذكاء وزيادته.
سادسا: مظاهر الذكاء اللغوي ومظانه.
المبحث الثاني: صور من الذكاء اللغوي في ضوء المستويات اللغوية
أولا: المستوى الصوتي.
ثانيا: المستوى الصرفي.
ثالثا: المستوى النحوي.
رابعا: المستوى المعجمي.
أ ــ الدلالة الوضعية(اللفظية)
ب ــ الاشتقاق.
ج ــ الألغاز اللغوية.
د ــ اصطفاء الألفاظ .
هـ ــ التصحيف والتحريف.
و ــ الاشتراك اللفظي.

الموضوع
ز ــ الحقيقة والمجاز.
خامسا: المستوى السياقي.
سادسا: المستوى التداولي.
سابعا: المستوى الخطي.
الخاتمة.
ثبت بأهم المراجع والمصادر.
ثبت الموضوعات.